السلسلة القصصية

الجانب الآخر 1

حديث الموتى

عمرو المنوفي

عمرو المنوفي

حديث الموتى

قصص

دار ليلى للنشر والتوزيع

اهداء خاص جدا

إلي من أدخلني عالم الخيال الرائع

وأهداني أول مجموعة كتب قرأتها في حياتي

إلي من علمني أن هناك عالم رائع أخر غير الذي نعيشه

إلي خالي العزيز

م / أحمد زايد



إهداء الي من شكلوا الحلم بوجداني

الي أبي الروحي: أ/ محمود زايد

الي جدتي الغالية أطال الله عمرها

الي والدتي الغالية: كوثر زايد

الي معلمتي الفاضلة: حمدية زايد

الي زوجتي الجميلة وإبنتي كوثر

الي اختي الرقيقة وزوجها وابنهما الغالي ميدو

الي اخوي: حسام زايد وأحمد زايد

الي فاكهة العائلة: صفاء زايد

والي كل العائلة والأصدقاء

شكرا لكم جميعا فبدونكم لم يكن ليكتمل الحلم

عمرو المنوفي



مقدمة

في الجانب الآخر .

سلسلة قصصية تبحر في كل عوالم الخيال دون قيود أو حواجز في عوالم الرعب والخيال العلمي والواقع المخيف.

في الجانب الآخر .

تفزعنا الحقيقة ويقتلنا الخيال وتكبلنا الهواجس ..

في الجانب الآخر .

هناك دائما الجديد ،الغريب ،الممتع، المميت ،المفزع ..

في الجانب الآخر .

لانقابل أبدا مانتوقع أو مانريد ..

فهناك يقبع الموت متربصا منتظرا اللحظة المناسبة..

في الجانب الآخر .



" فتاة المترو "

أسير في محطة المترو دون اكتراث.. أدخن سيجارتي العشرين.. وأدندن لحن أغنية سخيفة.. تدوي في شاشة العرض المعلقة.. بالقرب من سقف المحطة.. ولا أعرف لماذا التصقت هذه الأغنية بلساني..؟ رغم أن عقلي يرفضها..

تجاهلت تساؤلاتي.. وواصلت تنقلي من مكان لمكان في المحطة.. أشاهد الشعب المنهك في صراعه اليومي.. دون أن يلفت نظري.. إلا فتاه وحيدة.. تقف منذ أكثر من ساعة.. تتطلع إلى القضبان المعدنية التي يسير عليها المترو..

كانت فتاة عادية متوسطة الجمال.. مريحة الوجه.. محتشمة الملبس.. لا تلفت إلا انتباه شخص مثلي.. يدور بغير هدى في محطة المترو..

كانت وقفتها غريبة.. ونظراتها الشاخصة.. أوحت لي بصراع مرير.. يدور داخل عقلها..

لم أعرف لماذا توقفت بالقرب من حائط جانبي.. بجوار سلة مهملات حمراء اللون.. وأسندت ظهري إلى الحائط المتلئ بأعمال فسيفساء قبيحة.. صممها شخص.. يفتقر لأي حس جمالي..

وأشعلت سيجارتي الجديدة من المنتهية.. وراقبت طرف السيجارة وهو يشتعل.. ثم رفعت عيني إلى الفتاة أو (فتاة المترو) كما أطلقت عليها.. فوجدتها على حالتها.. لا يغير من وقفتها قدوم المترو أو انصرافه..

لعب الشك برأسي.. فصممت على متابعتها حتى انتصف النهار.. وبدأت محطات المترو تزدحم.. وتتحول عرباته إلى علب سردين مضغوط.. وكل نصف ساعة.. كنت ترى المترو وهو مقبل.. يطلق زئيره.. وكشافاه مشتعلان كعيون وحش معدني غاضب..

كانت الظهيرة هي ساعة الذروة.. في كل مرة يفرغ المترو أحشاءه.. ويحاول العديدون الركوب.. في زحام لن تراه إلا في هذا البلد العجيب.. والأعجب أن هناك من يستطيعون حشر أنفسهم بين اللحم المتلاصق..

كنت أطلق على هذه اللحظات (لحظات قالب العجوة).. وهو اسم مقتبس من كاتب لا أذكر اسمه ففي هذا الوقت تتحقق عبارة تلاحم قوى الشعب..

صدقوني إن كل هذه السخرية التي بداخلي.. وهذه التعليقات المريرة.. تنبع من واقع معايشتي لمأساة.. محدودي الدخل..

الذين يعانون من رعب من نوع خاص.. وهو خوف الغد..

فغدا قد لا يكون هناك طعام..

قد ترتفع الأسعار من جديد..

قد يمرض طفل.. ويحتاج إلى علاج..

ليس الرعب دائما قتلة ومصاصي دماء و مذؤوبين ..

هناك رعب الواقع.. ماذا ستفعل..؟ وأنت عاجز عن توفير أقل احتياجاتك.. واحتياجات أسرتك..

كنت أرى أبي دائم السهر.. وحيدا في غرفته.. لا يصاحبه إلا سيجارة وكوب شاي ثقيل.. يظل طوال الليل يدخن وينفث الأدخنة.. ويشاهدها وهي تختفي في العدم..

كان أبي رحمه الله.. دائم التفكير في الغد.. وفي الراتب الضعيف.. الذي لا يكفي لإطعام أسرة من القطط..

كان دائما وحيدا مع همومه..

عاش في وطننا وحيدا..

ومات وحيدا..

مات وهو يفكر.. كيف سيدبر غدا مصروفات علاج أختي المريضة..؟

مات.. وسيجارته في يده.. وبجواره كوب الشاي..

ولكن الشيء المرعب والمحزن.. تلك التقطيبة التي لازمتـه أثنـاء حياتـه.. وأثناء رحلته مع الشقاء.. والتي ارتسمت على وجهه غير الحليق المتغضن بعد موته.. وكأنها صديق وفي..

ترك كل شيء خلفه ورحل..

وكان ميراثه الوحيد.. هو المسؤولية.. والهم.. وخوف الغد..

لا أعرف لماذا مرت هذه الذكريات في عقلي..؟

وأنا أتأمل تلك الفتاة.. والـتي أجبرتهـا سيول البـشر علـى التخلـي عـن موقعها..

لتتراجع إلى الخلف.. وتصطدم بي.. وتعتذر.. ثم تسند ظهرهـا إلى حـائط الفسيفساء..

وتشخص بنظرها من جديد..

كنت أشعر بما تشعر به..

أشاهدها دون أن أنظر إليها..

أتحاور معها دون أن تتكلم..

أقنعها بأن لا تفعل ما تزمع عليه..

وكانـت هـي تخبرنـي دون صوت.. بأنهـا قـد ملـت حياتهـا.. ولم تعـد تتحمل..

أخبرتها أن الغد قد يكون أفضل..

فابتسمت دون أن يتحرك وجهها وقالت:

لقد رأيت ألف غد.. وكل غد أسوأ من سابقه..

قلت لها: صدقيني إنني فكرت بما تفكرين فيـه.. آلاف المـرات.. ولكـني دوما كنت أتراجع..

قالت: لقد فكرت.. وقررت.. وسأنفذ..

قلت في يأس إنها حياتك.. ولن أمنعك.. فلن أستطيع أن أعدك بغد أفضل..

لأن غدي.. كما أنا متأكد.. أسود من اليوم..

انتهى حديثي التخيلي.. فنظرت لها..

كانت لا تزال شاخصة البصر..

قلت في نفسي.. وأنا أنظر بحسرة إلى علبة سجائري.. والتي لم يتبـق بهـا إلا سيجارتين..

إما أن أتناول الغداء.. أو أشتري علبة سجائر أخرى..

ثم أحصيت النقود المتبقية في جيبي.. وازددت حسرة..

بالطبع الخيار محسوم.. من قبل أن يطرح..

إنها علبة السجائر المقدسة..

أشعلت سيجارتي قبل الأخيرة.. وسحبت منها عدة أنفاس متتالية..

ثم توجهت بوجهي نحو الفتاة.. وقررت أن أحدثها..

في محاولة لمنعها من أن تفعل ما أفكر به..

ولكنها اختفت من أمامي وسمعت صوتا يقول:

لقد تأخرت ويوما ما سآتي لك..

ولن أتاخر..

وتلاشت كما تتلاشى.. أدخنة سيجارتي في العدم..

انتفضت في رعب.. وانطلقت أجري..

وأجري..

وأجري..

حتى أوقفني شخص ضخم.. يرتدي زيا أبيض.. خاصا بهيئة التمريض..

وحاولت أن أفلت منه.. ولكنه باحترافية عالية.. طوقني.. وجذبني من وسطي.. حتى جلست على سرير معدني..

نظرت حولي.. وقلت يا إلهي.. من أحضرني إلى هنا..

وسمعت صوتا يقول: (بهيرة) أحضري محقنا مهدئا..لقد عاودته الهلاوس من جديد..

أحضرت (بهيرة) المحقن.. في حين شرع ذلك الشخص الضخم.. بتقييدي في السرير..

وتناول منها المحقن.. وأفرغه في عروقي..

وأثناء هبوط الضباب على وعيي..

سمعت بهيرة تقول: مسكين.. إنه لا يستطيع أن ينسى.. انتحار فتاة المترو..

إن عقدة الذنب بداخله.. هي التي تسيطر عليه.. وتؤخر علاجه..

فقال الرجل الضخم : لقد أخبرني الدكتور عمر أن حالته ميئوس منها..

وخصوصا بعد أن تقمص دور الصبي المسكين.. الذي توفي والده.. والذي يدخن بشراهة..

لقد حطم المشهد كل حواجز المنطق بداخل عقله..

ولولا ثراء والده.. لكان المستشفى قد ألقاه إلي الشارع من شهور.. كحالة منتهية.. لقد تضرر المخ..

مطت شهيرة شفتيها وقالت:



إن الشيء الغريب..في هذا الموضوع.. أن فتاة المترو هذه لم تمت..

ولكن أنقذوها.. وبتروا ساقيها المتضررتين..

والشيء الأغرب..

أنها أشادت بالشاب الوسيم..

الذي حاول منعها من الانتحار..

وحزنت بشدة على مصير الشاب..

لقد.. قرأت ذلك في الجريدة..

كان الضباب يغزو عقلي ببطء..

ولكن بكثافة

كنت أتساءل في نفسي..

من يكون هذا الفتى البائس..؟

الذي يتحدثون عنه..

لكن الضباب تكاثف مرة واحدة..

ورحت في نوم عميق..

وحينما استيقظت..

وجدت نفسي في محطة المترو..

أسير هنا وهناك..

أدخن سيجارتي..

أدندن الأغنية السخيفة..

وأتساءل..

لماذا التصقت هذه الأغنية بلساني؟

وهناك رأيتها واقفة.. شاخصة العينين.. نحو القضبان..

أتتساءلون من هي..؟

بالطبع..

إنها فتاة المترو..

" الموت السعيد "

أهلا بك في نادي الموت السعيد..

نوفر لك موتا سريعا وسعيدا..

فقط لا تنس أن تحضر معك..

بطاقتك الائتمانية..

وإن كنت من هواة الموت..

وترغب..

في مساعدة الآخرين..

تعالى إلينا لتشاهد من يموتون..

وسنخصص 50٪ من قيمة..

تذكرة الدخول لأسرة الميت..

تعالى إلينا..

فقد أصبح الموت الآن متعة.. وعمل خير..

كان هذا ما قرأته في الصحيفة الإخبارية اليومية الالكترونية.. ومررت عليه مرور الكرام بعيني.. فكل الإعلانات في هذا الموضوع متشابهة..

فهذه الإعلانات اللعينة أصبحت تغزو الصحف.. لتلتهم مساحة الأخبار كلها.. وكأنك تقرأ صحيفة إعلانية وليست إخبارية..

فبعد تطوير قانون الموت السعيد في عام 2069 م.. أصبح من حق كل من يملك المال أن يفتتح ناديا للموت السعيد.. فهي تجارة رائجة الآن.. ومكاسبها لا تحصى..

فلا يقتصر الأمر على تكاليف طريقة الموت المختارة.. والتي تسددها قبل التنفيذ.. ولكن هناك تكاليف الجنازة.. وقيمة تذاكر المشاهدة.. بل وطريقة الدفن، فهناك من يسدد ثمن الدفن في المدافن العادية.. ومن يسدد ثمن الدفن في المدافن الراقية.. وكل شيء يتم عبر النادي.. كل التفاصيل حتى توارى الجثة التراب.. أو تحرق.. أو تجمد.. أو تطلق في الفضاء..

كل شيء بثمنه.. المهم أن تملك المال..

كما أنهم يؤدون خدمات ما بعد الموت.. إذا ما تم وضع وديعة نقدية في أحد البنوك.. باسم النادي.. فيتم العناية بالقبر وتجديده كل فترة معينة.. ينص عليها العقد .. بل وإضافة أحدث ما يتم الوصول إليه من تكنولوجيا

القبور..

كل شيء بثمنه حتى الموت..

كنت قد قرأت في نفس الصحيفة الإلكترونية..عن مزاد لقبر إلكتروني جديد.. تم تصميمه بحيث يظل الجسد الميت.. أو الجثة.. في قبر معدني ضخم علي هيئة تابوت..من مادة التيتانيوم التي لا تصدأ.. مفرغ من الهواء.. وتم تزويده بتكنولوجيا جديدة.. للمحافظة على الجثة لتظل عشرات السنين دون أن تتحلل أي ما يشبه التحنيط.. ولكنه هذه المرة تحنيط إلكتروني..

وقد سارع الآلاف للدخول في المزاد.. وبيع القبر بمبلغ يحتوي على ستة أصفار..

يا للجنون..

كل شيء أصبح تجارة حتى الموت والرعب..

كل شيء يمكن أن تروج له حتى الموت..

المهم أن تكون الدعاية مكثفة..

وأن يحتوي فريق الدعاية والإعلان لديك على خبراء سوق نفسيين..

للعب على الأوتار الصحيحة للمستهلكين..

كل شيء يمكن أن يروج.. لو وضعته في غلاف براق.. وأقمت حوله الدعاية الكافية..

أصابني الملل ذات يوم.. وقررت أن أجرب الاتصال بالأرقام التي تظهر على الشاشة.. والتي تروج لنوع جديد من السلع..

إنه الرعب..

بإمكانك مقابل عدة وحدات نقدية.. أن تتحدث مع المشرفين على الموت.. وتشاركهم خوفهم..

أو تستمع في الهاتف.. إلى صوت من يحتضرون.. والخيارات متعددة..

طفل يختنق..

امرأة تحترق..

رجل تلتهمه الحيوانات المفترسة..

كل ذلك متوفر بل.. وبإمكانك أن تقوم بإرسالها إلى أصدقائك..

وقد تربح في سحب الرعب والموت الذي يقام كل شهر..

كنت قد انتهيت من عملي.. وقررت أن أتخذ المواصلة العامة.. في طريقي إلى المنزل.. كي أتفقد شوارع وسط المدينة.. والتي تتبدل وتتغير كل يوم بأسرع مما تتابع.. فالركود الاقتصادي كان بسبب حالة من الفوران.. في كل

مكان.. فمئات المحلات تفتح وتغلق..تخفيضات كبيرة لجذب الزائرين.. ولكن حتى بعد التخفيض الشراء حلم بعيد..

كانت متعتي أن أشاهد هذه المحلات.. بلوحاتها البراقة وعروضها الغريبة..

كل شيء متاح وكثير..

أمر على محلات الجهة اليمنى فأرى المطاعم الإلكترونية..التي توفر لك نوعية الطعام التي ترغبها..

فلو أنك وضعت في خيارات الوجبة.. زرنيخا وسم السيانيد ورباط حذاء قديم وزيت محرك صاروخ فضائي..

لتسلمت وجبتك خلال ثلاثين ثانية ومعها كوب كولا مجاني..

النوادي الليلية منتشرة في كل مكان.. ولكن فترة ما بعد الظهيرة هذه.. تبدو من الخارج شاحبة باهتة..

فالليل يضفي على كل شيء رونقا مختلفا..

وأثناء تجوالي بنظري.. سقطت عيني على ناد من نوادي الموت السعيد.. والتي تم تجهيز ديكوراته الخارجية بشكل جذاب.. يداعب فضولك ويشدك للدخول..

فهناك صورة هولوجرافية مجسمة.. لفتاة شاحبة مبتسمة.. تقول طول الوقت..

نقدم لك الموت كأروع ما يكون..

وعلى الجانب الآخر صورة لهيكل عظمي تبتسم جمجمته.. وهي تمسك في إحدى يديها باقة ورد.. وباليد الأخرى تسحب روح جسد ممدد أمامها بهدوء.. وعلى وجه الجسد ترتسم ابتسامة توحي بالاستمتاع والنشوة..

أشحت بعيني عن النادي.. وعدت أطالع لوحة إعلانية.. معلقة أمام إحدى إشارات المرور..

كانت تعلن عن مسابقة أطلقوا عليها.. الناجي الأخير.. كان اسما سخيفا.. لأنه لا يوجد ناج في النهاية.. ولكن الجائزة ضخمة..

عشرة ملايين وحدة نقدية..

والشروط غاية في البساطة..

أن تتقدم إلي المنظم في العنوان المذكور.. وإذا كنت لائقا وسعيد الحظ.. فسيتم اختيارك مع آخرين لتخوض التصفيات التي يجريها المنظمون.. إلى أن يصل أربعة عن طريق اتصال المشاهدين إلى التصفيات النهائية.. ويبدأ المرح..

فالمشاهدون يصوتون لكل متسابق يخوض ألعاب الموت..

وكل متسابق يموت قبل أن يصل إلى النهاية..تحصل أسرته على خمسين ألف وحدة نقدية.. وهذا مبلغ ضخم بالنسبة للعديدين..

ومشكلة هذه المسابقة بالنسبة للمتسابق الأخير.. أو الناجي الأخير.. هي أن المشاهدين هم من يختارون طريقة موته بالتصويت عبر رسائل التليفونات الثابتة والمحمولة..

و لك أن تتأكد.. من أن حماسة كل متسابق تقل.. باقترابه من التصفيات..

ولكن كل من يتقدم ومعظمهم من النساء.. الذين يريدون أن يؤمنوا لأسرهم الفقيرة حياة رغدة.. بالتضحية بأنفسهم أو يسعون لموت سريع يخلصهم من المعاناة.. وعلى الهواء مباشرة..

وقد رأيت الموسم الأخير من المسابقة.. في العام السابق.. وكانت الناجية الأخيرة امرأة في الثلاثين.. فائقة الجمال.. وإن رسم الفقر خطوطه العريضة وكآبته على وجهها الشاب الفتي.. رغم كم المساحيق التي تغطي وجهها..

كانت امرأة جميلة.. ترى صورتها على أغلفة مجلات الأمومة والطفولة الإلكترونية..

لقد اكتسبت قلوب المشاهدين الدموية.. المتعطشة للدم.. وكافؤوها بميتة رائعة..

فقد تم شقها بالمنشار الكهربائي إلى نصفين..

ميتة سريعة.. أفضل من أن تتدلى في مسبح الحمض الذي يأكلها من قدمها وحتى تموت من الألم..

أو أن تحترق جزءا جزءا.. كما حدث لمتسابق مكروه.. صوت المشاهدون لإحراقه على عدة مراحل..رغم أن تسعيرة التصويت على هذا الخيار مضاعفة..

كنت أفكر في موضوع المسابقة.. والحافلة تقترب من المنزل في سرعة..

فنفضت الأفكار عن رأسي..

والتقطت حقيبتي وغادرت..

وفي البيت رأيت زوجتي تجلس أمام التلفاز المجسم.. مندمجة في مشاهدة مباراة مدفوعة الأجر.. عن طريق إحدي القنوات المتخصصة..

وقد أخذت تسب وتلعن.. منظمي هذه المباريات الغشاشين.. فقد مات بطلها الذي راهنت عليه في الجولة الثانية غدرا.. ورغم ذلك لم ينقلوا الرهان على متسابق آخر.. كما كان يحدث من قبل

اندفعت نحوي بعد أن رأتني وقالت..

أرأيت يا حبيبي ماذا فعل هؤلاء الحثالة الغشاشون..

أيعتقدون أن الأموال تسقط على رؤوسنا من السماء.. أم نجدها ملقاة في الشارع..

مططت شفتي معلنا استيائي..

فقالت: ولكن سوء الحظ لم يكن كاملا اليوم..

فصغيري ستارك قد ربح في مسابقة.. اقتلوا هذا الحيوان..

وحصل على ثلاث تذاكر لنا.. في رحلة إلى القمر..

ابتسمت وقلت.. يبدو أن الحظ قد ابتسم أخيرا..

فقالت زوجتي وهي تبتسم.. نعم يا زوجي العزيز..

لم يعد العالم قاسيا كما كان..

" اللعنة "

اندفع (جوني) بسرعة رهيبة إلي متجر الوجبات السريعة الشهير المميز بلونه الأحمر وذلك العجوز ذي اللحية البيضاء الذي يدعي الحكمة لمجرد أنه يبيع الدجاج المقلي وهو يحمل بين يديه النقود إلا أن الزحام الشديد قد فاجأه فتوقف لاهثا.

وهو الذي كان يمني نفسه بوجبة شهية من الدجاج المقلي ليسكت معدته التي تتلوى من الجوع رغم أنه لم يمر على موعد عشائه إلا ساعة واحدة فقط ولكن يبدو أن كثرة تجواله في المهرجان الكبير المقام على حدود مدينته قد أصابته بالجوع.

و (جوني)كما تعرفون جميعا يعشق الطعام كعشقنا للحياة، وكأنه يتعمد أن يخالف المقولة الشهيرة التي تقول إننا نأكل لنعيش ولكنه كان من تلك الفئة المنتشرة بيننا التي تعيش لتأكل.

لم يتجاوز (جوني) الخامسة عشرة من العمر وتجاوز وزنه المائة كيلو

جرام، كان مشهورا بحبه الشديد للطعام، ولم تكن والدته تبخل عليه بالمال أو الطعام أو الحلوى وذلك لحبها الشديد له، وخاصة بعد انفصالها عن زوجها الخائن القذر كما تحب أن تطلق عليه.

كان (جوني) يعشق الطعام كما يعشق المحب فتاة أحلامه، لذا كانت صدمته كبيرة حينما رأى هذا الزحام ورغما عنه توقف في الطابور لأكثر من ربع ساعة حتى وصل إلى الكاشير ووضع النقود على منضدة الكاشير وهو يقول وجبة عائلية حارة مع الكثير من الكاتشب وكوب كولا كبير.

تناول الكاشير النقود وسجل طلبه ثم أعطاه رقما مسجلا على ورقة شريطية بيضاء وأعطاه باقي النقود.

تطلع (جوني) إلى الورقة البيضاء والكتابة السوداء التي توضح طلبه وهو يتمنى أن يكون معه عصا سحرية تختصر الوقت أو تحول هذه الكلمات إلى وجبة شهية ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

كان ضغط العمل على المحل الشهير كبيرا جدا وكان العاملون بداخله يعملون كأنهم في خلية نحل دائبة وتجمعت كل هذه العوامل لتؤخره عدة دقائق عن استلام طلبه ومرت عليه هذه الدقائق وكأنها دهور.

لو رأيت وجهه المتلئ حينما أعلنت اللوحة الرقمية رقمه للحضور لاستلام الوجبة لشعرت أن هذا الشخص قد حقق كل أحلامه ولم يعد يريد

شيئا من الدنيا.

كان شرها لدرجة لا يتوقعها عقل لقد التهم نصف دجاجة قبل أن يجلس في ذلك الركن المنزوي بعيدا عن ذلك التجمع الرهيب للبشر المنهمكين في الاحتفال.

وأمامه كان هناك منزل رحلات صغير الحجم تم تعديله ليتخذ شكلا يناسب المهنة التي يضطلع بها صاحبه أو صاحبته كما هو مسجل على اللوحة المضيئة بالضوء الخافت (ماريانا لقراءة الطالع) .

أخذ يقرأ اللوحة عدة مرات دون وعي وهو مستمر في التهام الدجاج المقلي.

كان يشعر بنشوة عجيبة كلما أضاف لما في معدته قطعة جديدة من الدجاج كانت القطع التي تكفي عائلة كاملة تختفي وتقل، والجوع يختفي والنشوة تزيد.

وأثناء انهماكه في التهام الدجاج انفتح باب المنزل الصغير الذي أمامه فجأة وأطل منه رأس عجوز قبيحة عارية الرأس لديها شعر تختلط فيه الشعيرات البيضاء بالسوداء في منظر منفر.

فجفل (جوني) وسقطت منه قطعة الدجاج على الأرض وكادت باقي القطع تتناثر لولا تمسكه الشديد بها.

وفي سره لعن هذه العجوز النحس ثم عاد يواصل التهامه للطعام في جشع.

وقفت العجوز على باب المنزل الصغير بظهرها المحني تتطلع إلى (جوني) والدجاج المقلي يختفي داخل فمه في سرعة وكأنه ماكينة بشرية لالتهام الطعام..

كانت عيناها تلمع بالجوع الشديد ووجود هذه الكمية من الطعام أمامها أثار غيظها وحقدها علي هذا البدين الأكول.

واقتربت ببطء من (جوني) الذي كان قد نسيها تماما وأخذ يلتهم قطع الدجاج اللذيذة الحارة باستمتاع.

وفوجئ (جوني) مرة أخرى بالعجوز أمامه ففزع في البداية ثم تمالك رابطة جأشه وهو يلوك قطعة من فخذ الدجاجة في استمتاع وابتدر العجوز قائلا:

ماذا تريدين أيتها الحيزبون؟!

ردت عليه العجوز بغضب وعيناها مسلطة على قطع الدجاج الموجودة في ثلث العلبة الأخير وقالت له: لا تنعتني بالحيزبون فأنا مثل جدتك.

نظر لها باحتقار وقال لها بأسلوب فج يميز الصبية الذين في سنه:

ليس لي جدة ولا أريد أن يكون لي.

ماذا تريدين مني أيتها الحيزبون؟!!

قالت له العجوز وغضبها يتصاعد: لا تنعتني بالحيزبون أيها الطفل الشقي.

قال لها بنفس الأسلوب الفج وهو ما زال يتناول الدجاج:

أعرف ما تريدين من نظرات عينيك ولكني لن أمنحك أي شيء من طعامي اذهبي واشتري ما تريدين فالمحل قريب.

كان غضب العجوز قد بلغ مبلغه فقالت بصوت قبيح تماما كهيئتها:

أعطني قطعة من الدجاج أيها الطفل الشقي وإلا صببت عليك لعنة لا يوقفها إلا الموت.

أخذ (جوني) ينظر إليها ذاهلا وهي تردد هذه الكلمات ثم انفجر ضاحكا وهو يقول بصوته المتقطع من جراء الطعام المتراكم في فمه ولم يبلعه بعد:

أي لعنة أيتها العجوز المخرفة؟

اللعنة عليك أنت.

وأخذ يضحك وهو يتناول القطعة الأخيرة من علبة الدجاج حمراء اللون ثم ألقى بقطعة العظم على العجوز الغاضبة التي وقفت وقفة متصلبة وعيناها لا تطرفان ثم بدأت تتمتم بكلمات لم يسمعها (جوني) الذي استوى واقفا وحمل في يده كوب الكولا وأخذ يعب منه كمية كبيرة.

وما إن انتهى منه حتى سمع العجوز تقول له:

ستكون لعنتك هي ما تحب أيها الطفل البدين المزعج .

ستبدأ لعنتك الأبدية بعد ثلاثة أيام حينما يكون القمر بدرا.

لم يبال بها وبعناد الأطفال جرى ناحيتها ثم دفعها بكتفه لتسقط أرضا في مشهد مؤسف.

وأخذ يجري وجسمه يهتز ككيس مليء بالماء.

والعجوز تنظر له وتصب لعناتها عليه..

وكانت آخر كلماتها قبل أن تفارق الحياة:

اذهب إلى الجحيم أيها البدين.

ثم فقدت عيناها بريق الحياة

ولفظت أنفاسها الأخيرة

° ° °

يقول العالمون ببواطن الأمور: إذا مات الساحر قد تفقد لعنته تأثيرها أو تظل إلى الأبد،

وكان موت هذه المشعوذة مما ينتمي للنصف الأخير من العبارة.

لقد مات الساحر وظلت لعنته قائمة.

وأصبحت حياة (جوني) لا تساوي أكثر من قطعة دجاج .

مرت الأيام الثلاثة على (جوني) دون أن يفكر في ذلك الموقف الذي مر به ولو مرة واحدة، وفي صباح اليوم الرابع بدأت الأعراض تظهر عليه، لقد استيقظ من النوم جائعا فالتهم قالب حلو ى كاملا، وأكل الكثير من ثمرات التفاح وجرع كميات كبيرة من اللبن وامتلأت معدته بشدة دون أن يستطع أن يوقف نفسه عن التهام المزيد.

لاحظت والدته ذلك ولكنها لم تبال، كانت تقول: إن كل ما يحدث لابنها هو نتيجة فراقه عن أبيه ويوما ما سيعود لطبيعته.

وكأنها لم تكن تعرف أن الشراهة تسري في دمائه منذ الصغر .

ولكن كان انفصال زوجها عنها شماعة تعلق عليها كل مشاكلها وأخطائها

انشغلت الأم بأعمالها المنزلية والتي تؤديها بطريقة سيئة في نفس الوقت الذي امتدت يد (جوني) إلي أكياس السكاسر التي يعشقها والتي لا تنقطع من المنزل كلمحة أمومة أخرى تدل على الاهتمام بجوني.

وأخذ (جوني) يعب منها الكثير وينتهي كيس خلف كيس حتى كادت روحة تزهق .

وسقط على ركبتيه وهو يمسك بطنه في ألم.

ثم تقيأ بشدة..

وتقيأ ..

وتقيأ ..

حتي كادت أحشاؤه تخرج من فمه..

وهبت الأم المفزوعة من منظر ابنها الذي يثير الشفقة ..

والذي غرق في قيئه المختلط بالدماء ..

وبسرعة طلبت رقم الطوارئ (911).

وأجابتها العاملة بسرعة وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان (جوني) في المستشفى القريب.

ولكن الذي أثار عجب الأطباء أن (جوني) لم يتوقف لحظة عن طلب الطعام أو إعلان جوعه المستمر .

عجز الأطباء عن إيجاد سبب لحالته .

وعرضوه على طبيب نفسي والذي جزم بأنه لا مرض نفسيا هناك وأن حالته لا تفسير لها.

كان (جوني) في المستشفى كثيرا ما يتسلل إلي أماكن الطعام ويلتهم منه ما يستطيع أن يحصل عليه سواء أكان مطهوا أو نيئا حتى اضطر الأطباء إلي

تقييده في الفراش وتغذيته عن طريق السوائل والمحاليل وكاد هذا يصيبه بالجنون، فلم يتوقف لحظة عن التذمر وطلب الطعام.

كانت حالته تسوء يوما بعد يوم .

ومع تدهور الحالة اضطر الأطباء إلي صرف كميات محدودة له من الطعام مع الاحتفاظ بتغذيته بالسوائل.

ولكن هذا لم يحدث أي تقدم أو يبشر به .

وكعادة كل الأمم حتى الأكثر تقدما حينما يعجز العلم تتصدر الخرافة واجهة الأحداث .

وفي يوم من الأيام همس لها هامس أن تذهب إلي الساحر (جودو) الخبير في هذه الأشياء .

وفي ظل الحالة النفسية التي وصلت لها وحالة ابنها المتأخرة .

تجاهلت نداء العقل وتبعت طريق الخرافة .

وكان اللقاء مع الساحر (جودو) مفزعا لقد حوّل الساحر المنزل الذي يبدو عاديا من الخارج إلي بيت للأشباح والرعب .

حتى الروائح التي تعبق بالمكان كانت تدفع من يشمها إلى الخوف .

مكان مفزع مقبض لم تتخيل يوما أن تدخله ولكن ما باليد حيلة.

لن أطيل في شرح التفاصيل ولكن نتيجة اللقاء كانت مفزعة فقد أخبرها الساحر وهو يذكر لها إسمها وإسم إبنها و اللعنة والأحداث السابقة ولكنه لم يذكر الحل.

وقال لها إنه بموت الساحرة لم يعد هناك وسيلة لكسر اللعنة .

وإن الأمل ضعيف .

ونصحها بساحر آخر .

ونصحها الساحر الآخر .

بساحر آخر .

ويئست من كل السحرة و ضياع مدخراتها التي تتبخر بين أيدي السحرة والنصابين فالسحرة هذه الأيام يستطيعون فعل كل شيء إلا الحصول على المال.

وكأن كل السحر يتوقف أمام لعنة الحصول على المال .!!

كان قد مر يومان دون أن ترى ابنها في رحلة بحثها عن حل في عالم الدجل والشعوذة .

وبعد أن بلي حذاؤها من كثرة اللف والبحث وكلت عينها من مطالعة صفحات الإنترنت المتخصصة في عالم السحر والخوارق جلست في ركن

غرفتها تبكي وتنتحب .

فهاهو ابنها الوحيد الذي خرجت به من زيجتها الفاشلة على حافة الموت.

يعاني من لعنه أصابته بها ساحرة عجوز خرقاء لمجرد أنه تصرف بطفولية ونزق .

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل يستحق طفل في سنه مثله هذه اللعنة ؟!!

هل يستحقها؟!!

كانت تنتحب وتبكي وأكثر ما ألمها والد (جوني) الذي لم يهتم رغم أنها تركت له على الأنسرماشين أكثر من مائة رسالة وعزت ذلك إلى أنه خائن وحقير وقذر.

قطع عليها حبل أفكارها صوت الهاتف الذي أخذ يرن في الصالة .

فقامت مسرعة كي تجيب وفي عقلها يتردد نذير شؤم بأنها فقدت ابنها الوحيد.

ولكن جاء صوت الطبيبة المشرفة علي حالة ابنها لتخبرها بأن ابنها يطلبها على وجه السرعة.

فتركت السماعة لتسقط أرضا دون أن تكمل المكالمة

وركبت سيارتها وانطلقت إلى المستشفى وأخذت تركض حتى وصلت إلى غرفة ابنها الذي كان يبكي ويتألم .

وما إن رأى أمه حتى بادرها بصوت دامع واهن يمزق نياط القلوب .

أمي النجدة يا أمي لم أعد أستطيع أن أتحمل إن الألم شنيع .

ثم انطلق في بكاء محموم .

اقتربت منه أمه وربتت علي شعره وهي تقول له بحنان مختلط بالدموع

تحمل يا صغيرى إن الأطباء يقولون إنك ستشفى قريبا و..

قاطعها (جوني)الصغير بصوته الباكي الواهن:

لا تحاولي خداعي يا أمي .

لقد رأيت الساحرة في حلمي أمس بعد أن أخذت الحقنة المخدرة التي تساعدني علي النوم .

وأطلق صرخة ألم رهيبة خلعت قلب الأم وقال وهو يتنفس بصعوبة

لقد قالت لي: إن الحل الوحيد لإنهاء اللعنة ..!

أن أموووووت ..

أرجوك يا أمي اقتليني ..اقتليني..

انتفضت الأم فزعة وهي تقول لابنها: لا تقل ذلك ستشفى ..ستشفى..

ولكن (جوني) الصغير أخذ ينتحب ويتأوه ويقول لها :

أرجوك يا أمي .. أرجوك الألم لا يطاق.

واندفعت الطبيبة المسؤولة عن الحالة وأعطت للطفل (جوني) حقنة مورفين أدخلته في عالم الغيبوبة الخالي من الألم وأمرت بإخراج الأم إلي الخارج ثم قامت بوضع قناع الأكسجين للتغلب على اضطراب التنفس الذي يصيبه من وقت لآخر أثناء النوم.

وأوصت الممرضة بضرورة تغير الأسطوانة كل أربع ساعات للمحافظة على انتظام تنفسه حتى لا يفقدوه أثناء النوم.

لكن الأم رفضت أن تخرج بأي حال من الأحوال وابتدرت الطبيبة بلهجة توسلية: أرجوك اتركيني بجواره ولن أفعل ما يزعجه.

وأمام إصرار الأم وحالتها السيئة تركتها الطبيبة لتجلس بجوار ابنها عل ذلك يسري عنها.

كانت الأم قد بلغ بها التعب مبلغه وهي تتطلع إلى ابنها المقيد الغارق في الغيبوبة ودموعها تهطل كالأمطار.

كانت تفكر في كل الأحداث التي مرت بها وكلمات ابنها الأخيرة تدوي في

أذنها حتى نامت.

وفي الحلم أخذت كلمات ابنها الأخيرة تتردد في إصرار:

اقتليني يا أمي.. اقتليني يا أمي.. الألم لا يطاق .. لايطاق ..

وانطلقت صرخته عالية ..

واستيقظت الأم لتجد أن الصرخة حقيقية وان كان عقلها الباطن قد أدخلها في الحلم ..

نظرت له متألمة وكانت عيناه جاحظة وعروقه نافرة من الألم وكان يئن.

نظرت له نظرة متألمة عاجزة ثم أشاحت بوجهها لتنظر من النافذة وتشاهد الليل والقمر الذي يضيء السماء.. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل والصمت يغلف الغرفة إلا من صوت أجهزة الإعاشة المحيطة بإبنها لتضيف جوا مقبضا على الغرفة التي يضيئها القمر بضوء شاحب .

وامتزج الأنين بصوت الأجهزة وصوت تنفس الأم المضطرب لتكتمل لوحة الحزن الكئيبة.

كانت نظرات الأم قد بدأت تتحول وتنفسها يزداد وأعصابها تكاد تنهار ونظرات ابنها الملتاعة تمزقها من الداخل.

كان عقلها قد توقف عن التفكير ونبضها قد ارتفع ودقات قلبها تكاد تسمع

ويداها قد بدأت في الرعشة.

كانت قد وصلت للحضيض بالنسبة لحالتها النفسية .

وزادتها نظرات ابنها الراجية المتوسلة والأنين الصادر منه حالتها سوءا.

ونظرت إلى ابنها المقيد نظرة أخيرة ثم قالت بصوت يتقاطر ألما:

لن تتعذب بعد ذلك يا صغيري الحبيب .

وبيد مترددة ونفس ممزقة أغلقت صمام أنبوبة الأكسجين التي تمده بغاز الحياة ..

وفصلت عن جسده كل الأجهزة المتصلة به..

ثم احتضنته وهو يحتضر..

حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ..

وهي تتساءل من وسط دموعها المنهمرة..

هل يساوي كل هذا الألم قطعة من الدجاج؟

هل؟



" حديث الموتى "

كان أبي رجلا غامضا.. لديه الآلاف من الأسرار التي كان يخفيها في غرفته المغلقة دوما والتي تخرج منها روائح شنيعة وأصوات مريبة وصرخات تقلقنا دوما من نومنا في منزلنا النائي الذي يقع على أطراف القرية في منتصف الأرض الزراعية التي نملكها وكنت وأنا صغير أستمتع بممارسة لعبة (خمن) مع أختي التوأم والتي كانت تدور دائما حول اللفائف الضخمة التي كان يحضرها عمي (وجيه) حارس المقابر إلى أبي فوق حماره ثم يتعاون هو وأبي على إدخالها الغرفة ويخرج حاملا لفافة أخرى بها أشياء لا نعلم عنها شيئا.

وكانت دائما ما تسألني أختي الصغيرة عما يوجد باللفافة، فأجيبها بأنها تحتوي على قالب حلوى ضخم فتضحك ضحكتها الطفولية الناعمة وتخبرني أن ما في اللفافة كنز السلطان، وكنا نضحك معا وننسى الموضوع ونعود لمارسة ألعابنا الطفولية.

كان أبي يحذرنا دائما من التحدث مع الغرباء عن هذه اللفائف أو الصرخات التي نسمعها يوميا والتي كانت تفزعنا في البداية ثم أصبحت من روتين يومنا.

كنت أنمو وينمو معي فضولي وكان السر في الغرفة المغلقة يؤرق منامي، فماذا يفعل أبي في هذه الغرفة الشنيعة الرائحة، وما سر هذه الصرخات التي تشبه صرخة إنسان يذبح بسكين بارد.

كان هذا السر يصنع صدعا في استقراري النفسي ويؤرقني ليل نهار حتى أني ذات يوم قررت أن أفتح الغرفة من وراء أبي كي أكشف هذا السر الجهنمي.

كنت أعرف أن أبي ينام نهارا في غرفته القديمة التي كانت تضمه مع أمي رحمها الله ويضع مفاتيحه بجواره على منضدة قديمة بجوار السرير.

تسللت إلى الغرفة بهدوء وحذر شديد فأنا لا أعرف مصيري لو استيقظ أبي وضبطني بالجرم المشهود.

كنت أقترب بحذر ودقات قلبي تتعالى بشدة لدرجة أني اعتقدت بداخلي أنها ستوقظه.

كانت أنفاسي تكاد تختنق من هول الرائحة الصادرة من جسد أبي المتمدد أمامي تحت الغطاء.



رائحة تشبه رائحة الجثث المتعفنة .

مددت يدي وأنا أكاد أفر هلعا إلى الخارج، ولكن فضولي كان يمنحني شجاعة إضافية.

فاقتربت أصابعي من المفاتيح واحتوتها قبضتي ونظري مسلط عليها وكأن في حصولي عليها حياتي .

سحبت قبضتي ببطء شديد حتى لا تحدث المفاتيح جلبة فتوقظ أبي .

ونظرت بجانب عيني إلى جسد والدي المدد .

وشهقت شهقة كادت توقف قلبي .

وسقطت المفاتيح من يدي .

واصطدمت عيني بعين والدي الصارمة.

واختنق الصوت في حلقي وذرفت الدموع من عيني وجف حلقي وكدت أسقط على الأرض صريعا ونظرات أبي تكاد تنفذ إلى خلايا عقلي لتنتزع اعترافي دون أن أتحدث .!

مد يده إلي دون أن يتحدث وأشار بما معناه أن أحضر المفاتيح وانحنيت بجسدي إلي الأرض والتقطت المفاتيح التي أصبح ملمسها كملمس الثعبان في يدي وناولتها لأبي وأنا أرتجف رعبا.

فهبط من فوق سريره دون أن يتفوه بكلمه ونظر لي نظرة صاعقة وأشار لي أن أتبعه وسار باتجاه باب الغرفة الموصد .

وأنا أمشي خلفه كالمسحور .

وما أن وصل إلى باب الغرفة حتى أولج فيها المفتاح وهبت علينا من الداخل تلك الرائحة الشنيعة وكدت أتقيأ ودخل أبي إلى الغرفة وكأن شيئا لم يحدث فقد اعتاد على هذه الرائحة التي صاحبته من أيام زواجه الأولى وربما قبلها لست أدري.

وما إن وصل إلى منتصف الغرفة التي لم أكن بعد قد تبينت محتوياتها حتى فاجأني صوته الآمر قائلا بصوت عميق: أغلق باب الغرفة بالمزلاج ثم تعال بجواري لتعرف السر الذي جرأك على سرقة أبيك.

كادت الدموع تفلت مني للمرة الثانية وأنا أحاول أن أجيب فلا تسعفني الكلمات وكنت أشعر بالدوار الشديد من الرائحة القاتلة التي امتزجت برائحة خبيثة أخرى لا أعرف لها مصدرا. .

اقتربت من أبي وأنا أتمنى أن تقطع قدماي أو تخسف بي الأرض حتى لا أصل إلى جواره فقد كانت أشد أفكاري سوداوية أن أبي سيتركني وحيدا في هذه الغرفة الجهنمية.

ولعنت نفسي ولعنت فضولي ولعنت كل جبناء العالم وتقدمت حثيثا من أبي .

كانت عيني قد بدأت تعتاد ظلام الغرفة غير المكتمل وبدأت أعرف حدود الموجودات وكان ما رأيته عدة أشياء لم تشبع فضولي ولم تكشف لي سر هذه الغرفة الغامضة .

كان هناك نضد مثل الذي يوجد عند الجزارين وسكاكين مختلفة الحجم ومنشار كهربائي صغير ومنضدة قاتمة وكأنها سكب عليها أحد المواد الزيتية اللزجة فحال لونها ولفافة كان عمي (وجيه) حارس المقبرة قد أحضرها اليوم وحملها هو وأبي إلى داخل الغرفة كعادتهما الدائمة.

أشار أبي إلى اللفافة وقال لي بصوته العميق المخيف: ساعدني على وضع هذه اللفافة فوق المنضدة.

وانقبض قلبي وتدفق الأدرينالين إلى عروقي وترددت قليلا فزجرني أبي فاندفعت معه كي أحمل اللفافة ووضعناها في منتصف المنضدة.

ونظر لي أبي نظرة فهمت من معناها أن علي أن أفك الأربطة التي تلتف حول اللفافة لأرى ما يوجد بداخلها وتوترت توترا شديدا وأنا أمد يدي بسكين صغير تناولتها من فوق النضد المجاور لي وأصبحت يدي ترتجف كذيل العقرب فها أنا الآن قاب قوسين أو أدنى من كشف السر الذي أرق

مضجعي لليالي طويلة .

ولكن هل معرفتي بهذا السر ستريحني أم أنها ستكون وبالا علي؟!

مزقت الأربطة بالسكين الصغير ثم شققت الغلاف القماشي المحيط باللفافة وجاءت لحظة الحقيقة .

وانتفضت وتراجعت للخلف وسقطت على وجهي فما رأيته لم يكن ليزورني حتى في أبشع كوابيسي .

كانت اللفافة تحتوي على جثة متحللة حديثة .

كان منظرها شنيييييعا حتى إني لم أستطع النظر إليها مرة ثانية .

وكانت الديدان قد صنعت بداخلها ممرات وثقوبا تنتقل عبرها لتناول الطعام .

كان المنظر مقززا أكثر منه مرعبا .

ولكن الأكثر رعبا هو ما حدث بعد ذلك ..!

إنه الشيء الذي أخذ يزورني في كوابيسي كل ليلة مانعا عيني من النوم فقد التقط أبي إحدى السكاكين الضخمة وهوى على مؤخرة رأس الجثة المتحللة المدة أمامي على المنضدة فطار الجزء العظمي من مؤخرة رأس الجثة وسالت دماء سوداء أمامي كنت أراها على الإضاءة المتسللة من شقوق

في سقف الغرفة وظهر المخ في مشهد رهيب أجبرني على التقيؤ للمرة الثانية .

وغرس أبي أصابعه داخل الرأس وأخذ يتمتم بكلمات لم أفهمها وحدث الهول .

أخذت الجثة ترتجف والديدان تتناثر منها ثم بدأ أبي في استجواب الجثة عن كل ما تعرفه من أسرار مخزونة بداخلها .

لقد ظهرت الأرواح السوداء وأخذت تفشي الاسرار.

كان كل جزء يتمزق يحكي أسرارا ويبوح بعلوم كان صاحبها يعتقد أنها دفنت معه .

كان انتهاكا فجا لحرمة الموتى .

ولم أحتمل أكثر من ذلك وفقدت الوعي .

• • •

لم يطل فقداني لوعيي كثيرا فقد أفقت هلعا وأنا أتخيل أنني كنت في كابوس رهيب ولكني لمحت أبي وهو يلملم أجزاء الجثة الممزقة في لفافة أخرى ويحكم إغلاقها ثم يركنها إلى الحائط المجاور ويشير لي أن أقف وأتبعه للخارج .

تحاملت علي قدمي ووقفت ثم تبعته مغادرا الحجرة التي أقسمت ما إن أغادرها حتى أغادر المنزل بل والبلدة كلها ولن يعرف أبي لي مكانا .

ولكن لذهولي فقد جذبني أبي من يدي وأنا أسير معه مستسلما وقال لي : إن الهرب ليس حلا وإنه قدر وكتب علينا.

وكأن هذه الكلمات كانت تحفر بداخلي.

فقد استسلمت لأبي تماما وتركته يعلمني كل فنون الظلام التي يعرفها وصرت خبيرا في استجواب الجثث وأصبحت شغوفا للاطلاع على الأسرار التي تخبئها كل جثة من التي كان يحضرها لي عمي (وجيه) حارس المقابر ثم ابنه من بعده (أنيس) .

لقد تركتني زوجتي منذ زمن طويل وقمت أنا بتربية ولدي وإن كنت لم أحرمها يوما من رؤيتهم أو أحرمهم من رؤيتها.

وحينما علمت أنها ماتت نتيجة خطأ جراحي في الوحدة الصحية بالقرية عندما حاول طبيب مبتدئ أن يجري لها عملية استئصال الزائدة الدودية وفشلت العملية وتحول الطبيب إلى التحقيق.

قمت بإحضار جثتها واستجوبتها وعرفت منها كم كانت تحبني فهي حينما تركتني كان ذلك بدافع واحد .

هو الخوف ..

ولكن متعتي الأثيرة كانت في استجواب جثة أبي وعرفت منه أن جدي هو الذي علمه ذلك الفن الرهيب وأن جدي تعلمه من مشعوذ يهودي كان يمارس السحر الأسود لجأ إليه ليخبره بمكان ميراث عائلي قديم مدفون داخل المنزل فعلمه هذا العلم وكان أول من مارس عليه هذا العلم هو أباه أو للدقة جثة أبيه ومات هذا المشعوذ اليهودي حينما انتشر وباء الكوليرا في قرى مصر قديما ولكنه ترك خلفه تلميذا نجيبا.

ومن إحدى الجثث المثقفة التي استجوبتها أخبرتني إحداها أن الفن الذي أمارسه يدعى (النكرومانسي) أو فن استجواب الجثث وأنني بممارستي هذا الفن الرهيب صرت ملعونا أنا وأسرتي وحتى تفنى سلالاتي.

ولكني لم أبال وقمت بتجميع جثة أبي وأحكمت لفها في اللفافة جيدا وتأكدت أن الأشلاء لا يمكن أن تسقط أو تظهر منها حتى ولو سقطت من فوق حمار (أنيس) .

نقدت أنيس أجره كاملا ثم أخبرته أن يدفن أبي دفنة لائقة في مقبرته من جديد فأنا كما تعرفون ابن بار.

ooo

ومرت الايام ..

والشهور ..

والسنين ..

وذات يوم كنت جالسا في صالة المنزل بعد أن انتهيت من إحدى مهماتي الشنيعة بمعاونة ولدي الأكبر .

وسمعت حفيدي الصغير يسال أخاه الأكبر قائلا:

خمن ماذا يوجد في لفافة عمي (أنيس) حارس المقبرة؟؟!!



" قلوب من حجر "

فحوصات..

فحوصات..

فحوصات..

مئات الفحوصات التي أجريتها.. من أجل الحمل..

كان حلمي الوحيد في الدنيا.. أن أحظى بطفل يملأ الدنيا من حولي سرورا وبهجة.. ويبدد وحدتي ومللي.. من الحياة ورتابتها..

وقبل أن أبدأ قصتي.. و أحكي لكم معاناتي وآلامي.. أعرفكم بنفسي..اسمي (شروق)..خريجة كلية نظرية من تلك الكليات التي تمنحك مؤهلا ولا تمنحك عملا.. وإن كانت تمنحك أياما رائعة..من الرفقة.. والرحلات الطلابية..والمرح والحب..

قابلته في يوم من الأيام..في إحدى وسائل المواصلات العامة.. المزدحمة.. فأنا من أسرة متوسطة الحال.. أو كما يسمونها مستورة..

كان الزحام في الحافلة لا يطاق.. شيء غير آدمي.. يشعرك بمعاناتك وفقرك.. ويشعل الحقد بداخلك على الأغنياء.. الذين يأتون إلى مبنى الجامعة.. بسياراتهم الفارهة..

كان الزحام خانقا.. والروائح تزكم الأنوف.. وكنت أنا أقف متعلقة بيدي.. في ذلك الحامل المتدلي من سقف الحافلة.. أدفع بيدي هذا.. وأتفادى بجسدي ذاك..

كنت أمارس معاناتي اليومية.. في تلك الحافلة.. التي تشبه علبة السردين المحفوظة.. وأرمق الجالسين على المقاعد..من فرجات ضيقة بين الحشود المتلاصقة.. لعل أحدهم تأخذه النخوة.. أو الشهامة.. فيجلسني مكانه.. وبالطبع لم أجد من يحس أو يشعر..

وكمعجزة في زمننا الخالي من المعجزات.. رأيت من يشير لي كي آتي لأجلس.. على مقعد شاغر كان.. قد غادره أحد الركاب.. والذين أتت محطة نزولهم.. وآثرني به على نفسه..

لم أصدق نفسي.. واندفعت جالسة على المقعد الشاغر.. متنفسة الصعداء.. شاكرة ذلك الشاب الوسيم الذي رأف بمعاناتي.. وأجلسني على المقعد.. ووقف أمام المقعد.. ليحميني بجسده من الركاب المندفعين.. ويرمقني بنظراته الخجلة من وقت لآخر..

وبعد مرور وقت عصيب عليه.. في ظل الزحام المتزايد على الحافلة.. غادر الرجل الجالس بجواري مقعده.. وجلس ذلك الشاب الوسيم مكانه.. وهو يبتسم ابتسامته الخجولة الرائعة..

لم أعرف لماذا انجذبت إليه..وخصوصا في الأيام التالية.. وصارت لقاءاتنا التي كانت تتم على أنها صدفه..لقاءات مدبرة.. كنا نسرق بها من الزمن.. لحظات السعادة..

ومرت أيام الدراسة.. وتقدم لخطبتي.. ولم تمر أشهر قليلة حتى ضمنا عش الزوجية.. ومرت علينا الشهور الأولى كالحلم.. ونحن ننتظر أن يمن الله علينا بطفل.. لتكتمل سعادتنا..

ومرت شهور.. وبعدها شهور.. حتى اكتمل العام.. ولم يرزقنا الله بطفل.. وكثر الحديث من هنا وهناك.. وزوجي لا يبالي.. ويقول إنها إرادة الله وقضاؤه ..وإنه مؤمن وسينتظر .

ولكني لم أستسلم.. وقمت بعمل الفحوصات الطبية.. وأجبرت زوجي أيضا على القيام بها.. رغم رفضه الشديد في البداية.. ولكن بعد ضغطي الشديد.. قمنا بعمل الفحوصات كاملة.. وكانت المفاجأة الرهيبة.. فنحن الاثنان سليمان..ولا يوجد ما يمنع من حدوث الحمل.. ولم ندر ما نفعل.. واستسلمنا لقضاء الله وقدره..

ومر عام.. بعده عام.. بعده عام.. وفي العام الرابع.. فاجأت زوجي بطلب التبني.. وتفاقمت بيننا المشكلات.. وفي النهاية رضخ لمطالبي.. وتبنينا (وليد)..

طفل رائع في الثانية من عمره.. عثرنا عليه في أحد الملاجئ ذات الإمكانيات المنخفضة.. وفي وقت قياسي كنا قد أنهينا تسجيل الأوراق.. وحملت (وليد) إلى المنزل.. وأحطته برعايتي من أول لحظة.. وأصبح أهم شيء في حياتي.. لدرجة وهذا شيء يحسب علي.. أهملت زوجي وشؤون المنزل.. ورغم ذلك لم يتبرم زوجي.. وتحمل وكان يهتم بشؤون وليد ومتطلباته.. إلا أنه لم يظهر يوما حبه أو حنانه له.. برغم مشاعر الحب والود.. التي كان يغرقنا فيها وليد.. خاصة أن هذا شيء غير مألوف.. في فترة مراهقة أي شاب.. في مثل سنه..

فسن المراهقة.. هو سن التمرد.. واكتساب الشخصية.. ومحاولة إثبات الذات..

ووصل وليد إلى سن السابعة عشرة.. وحدثت أكبر مفاجأة في حياتنا.. لقد أصابتني نوبات قيء ودوار متتالية.. وذهبت للطبيب في المستشفى القريب من المنزل.. واخبرني أن الله منّ علي بالحمل..

وكم كانت فرحتي.. وفرحة زوجي.. بهذا النبأ.. ومرت علينا أيام الحمل

بهناء وسعادة.. و عاملني زوجي معاملة الملكات.. وأغدق علي الهدايا.. وكلمات الحب.. التي كانت قد فترت.. مع سنوات الزواج الذابلة..

وسافر زوجي للعمل في إحدى دول النفط. وأصبحت النقود معنا.. بلا حصر أو عد.. فزوجي قد بدأ جوار عمله هناك.. مشروعا صغيرا سرعان ما كبر.. وأصبح مشروعا ضخما.. وأصبحت حياتنا من أفضل لأفضل..

وكما يمر النسيم.. مرت أيام الحمل.. وأنجبت طفلا جميلا.. أسميته (عمرو).. كان رائعا في كل شيء.. ملامحه المشتركة.. بيني وبين زوجي.. ابتسامته الرائعة.. وعيناه البنيتان..

كان رائعا.. رائعا..

ومع مرور الوقت.. بدأ اهتمامي بوليد وطلباته يفتر.. ويقل بل ويتلاشى.. كان (عمرو) قد ملك علي دنياي وقرب زوجي مني.. وأصبحت به الحياة أجمل ما يكون..

وذات يوم صارحني زوجي.. أنه يريد أن يعيد (وليد) إلي الملجأ من جديد.. لأنه لا يريد أن ينفق على طفل.. ليس من صلبه.. وصارحته بصوت متردد أن (وليد) منحنا أعواما من السعادة.. ومن حقه أن تستمر حياته على هذا المنوال.. ولا ندفعه نحو المجهول أو الضياع..

فأخبرني أنه كان صابرا عليه.. حتى لا يضايقني.. وأنه لم يشعر يوما

نحوه بالحب أو العطف.. وأنه كان ينظر إليه.. على أنه دمية تلهيني عن التفكير في الإنجاب.. وأن ابنه قد عوضه عن كل شيء.. ولا يريد هذا الطفل الغريب في منزله..

لم أعرف ماذا أفعل.. فقلبي متعلق به.. وإن كنت لا أخفي عليكم.. فإن ما بداخلي.. مجرد شفقة لا حب..

لا أدري هل أنا قاسية.. أو بلا مشاعر..

فما رأيك أنت يا سيدة طب القلوب

وما رأيكم أنتم يا قراء هذا الباب العزيز

° ° °

كانت هذه الكلمات.. هي محتوى أحد الخطابات.. التي وردت إلي أنا.. محررة باب (طب القلوب).. بإحدى المجلات الدورية الشهرية..

كنت أجلس وحيدة على فراشي.. وأمامي حاسوبي النقال.. وكنت أقرأ كل رسالة بتمعن.. وأدلي برأيي فيها.. وكانت هذه الرسالة السابقة.. من أبشع ما قرأت في حياتي..

أنا التي تربيت يتيمة.. ثم تزوجت لأكتشف عجزي عن الإنجاب.. وعجزي عن إسعاد زوجي.. ومنحه ما يريد..

كانت حياتي.. سلسلة من اليأس.. و الإحباطات المتتالية..

بالطبع.. وكما تتوقعون..بعد هذا الاكتشاف أصبحت حياتي.. جحيما لا يطاق..

(إن الجحيم كما قال سارتر هو عيون الآخرين) وآه.. وألف آه.. من نظرات زوجي..

لقد أشعرتني بالنقص.. والعجز.. وقلة الحيلة.. حتى إني لم أجد ملاذا إلا في أبغض الحلال..

وتم الطلاق سريعا.. واختفى جزء من حياتي.. كنت أعتبره ذات يوم هو قمة السعادة..

طويت صفحات أحزاني.. وانغمست في صفحات الآخرين..

وأصبحت بفضل المثابرة.. والعمل المتواصل.. محررة (باب طب القلوب)..

حيث كنت أدفن حزني.. في مقبرة الآخرين..

لن تصدق مقدار ما يحتويه العالم.. من حزن وألم..

إن هذه الدنيا..هي جهنم للعديدين..

سامحوني لو كان موضوعي هذه المرة.. كئيبا أو حزينا..

ولكن الخطاب الذي عرضته عليكم.. لم يكن النهاية..

لقد كان البداية..

لقد تابعت هذه القصة.. طوال عشر سنوات.. بجوارحي..وبمهارة الصحفية المخضرمة..

لقد أصبح وليد من مراهقي الشوارع.. بعد أن هرب من الملجأ.. ثم نضج ليصبح من البلطجية.. ثم عمل في تجارة المخدرات والأدوية المهربة..

وكانت نهايته سيئة..

لقد طارده رجال الشرطة.. من مكان لمكان.. ومن بلد لبلد..

ولكن الحظ كان بجانبه.. فاستطاع أن يهرب.. ويواصل جرائمه.. طوال عامين كاملين.. دون أن يسقط أو.. تعثر له الشرطة..على أدنى أثر..

حتى أتى يوما..من وشى به..

وحاصرته الشرطة ذات يوم.. في إحدى محطات القطار.. والتي كان يستخدمها في الترويج للمخدرات.. وأحكموا عليه الحصار.. لدرجة أنه حاول في آخر المطاف الهرب.. بالقفز في أحد القطارات المسرعة..

وكان يبدو أن رصيده من الحظ قد انتهى..

فسقط تحت عجلاته.. وفقد ساقيه..

وتحول بعدها لمشرد.. يتسول في الشوارع بفظاظة..

كانت نهاية رهيبة.. لمجرد أن شخصا صور الشيطان له.. أنه أهم شخص في العالم.. وأن من سيأتي من صلبه.. هو فقط من يستحق أن يتولاه بالرعاية..

لقد كان قلبه من حجر.. وضميره من رماد..

حكم على شخص آخر بالضياع.. ليواجه مكافأة القدر الذي منحه ابنا من صلبه.. بإلقاء آخر في الشارع..

ولكن الحكاية لم تنته..

فـ (عمرو) هذا الابن المدلل.. الذي أتى للحياة.. وفي فمه ملعقة من ذهب..كتب الفصل الثاني من القصة..

كان (عمرو) أكبر مثال على الرعاية السيئة.. ونتائجها القاتلة..

كانت أحلامه.. أوامر..

النقود في يده.. بلا حساب..

أمنياته كانت تتحقق.. قبل أن يطلبها..

لقد تدلل على يدي والديه.. حتى إفساده..

وكصيادي الجوائز..كان أصحاب السوء يتربصون..

كان بالنسبة لهم.. الدجاجة التي تبيض ذهبا..

جعلوه القائد أو الزعيم..كما كانوا يطلقون عليه..

وبالطبع على كل زعيم.. وقائد.. أن يثبت لأفراد مجموعته.. أنه الأقوى.. والأوقح.. والأسوأ..

تدرج في كل شيء..

من السيئ..إلى الأسوأ..

ومن الحقير.. إلى الأحقر..

حتى وجدوه ذات.. يوم ملقى في أحد الأزقة.. صريعا..

بجرعة زائدة من المخدر..

ومازالت القصة تتواصل ..

لنعود للخلف قليلا لنقص عليكم جزءا أخر القصة..

ملأ (عمرو)الدنيا على والدته.. السيدة (شروق).. وأصبحت تغدق عليه من كل شيء..

أعطته من الحنان أطنانا.. ومن الاهتمام أعواما.. ومن الأموال ما لا يعد ولا يحصى..

صنعت منه وحشا صغيرا وقحا.. لا يأبه بشيء.. ولا لشيء.. ولا يرضى بالقليل..

كانت معاملته لها بحب.. في البداية.. ثم أصبح الحب.. مجرد اهتمام بنافورة المال.. ثم أصبح وقاحة.. وإثبات ذات..

وأحال حياتها بعد ذلك.. لجحيم مقيم..

حتى إن اعتداءه عليها لأتفه الأسباب.. أصبح نشاطا يوميا روتينيا..

أصابها العديد من الأمراض.. أتفهها السكري والضغط..

كانت تجلس بجوار نافذة المنزل الجديد.. تتطلع كل ليلة إلى القمر.. وتتذكر (عمرو) ..

ومرت سنوات.. وسنوات..

وهي مثل الزهرة المقطوعة تذبل.. ونضارتها تنوي.. حتى لازمت فراش المرض..

وكانت أخر الأخبار التي وصلت لها.. قبل موتها..

زواج زوجها..

وكانت نهاية القصة..

أقل عنفا من أحداثها السابقة..

لقد أنجب الأب طفلا آخر.. أولاه اهتمامه وحنانه..

وطوى صفحة الماضي..

بكل ما فيها من مآس..

جميعكم تقولون إن النهاية سعيدة.. لقصة حزينة..

ولكني أقول لكم.. إن العدل.. ليس من صفات هذه الدنيا..

وإن هذه الدنيا تحتوي على آلاف القصص.. التي كسب فيها الشر كل معاركه..

ولكني أكتب لكم هذه القصة.. لأخذ رأيكم..

فأنا أريد أن أتبنى طفلا من الملجأ.. يعيش معي في شقتي.. ويعوضني عن أيام الوحدة والشقاء..

فهل يستطيع إنسان.. أن يربي إنسانا آخر.. ليس من صلبه..

أفيدوني أفادكم الله..

" أشياء لا تشترى "

لا يوجد شتاء أقسى من شتاء الغربة ..

يفصلك عن أهلك آلاف الأميال ..

يفصلك عن أصدقائك آلاف الأميال ..

يفصلك عن من تحب آلاف الأميال ..

تتساقط الأمطار خلف نافذتك بغزارة ويصدر عن ارتطامها دوي كئيب يترك صدى مقبضا في قلبك وأنت وحدك تجتر ذكرياتك السعيدة والحزينة..

وتشعر أن كل ما مر بك مهما كانت تفاهته له قيمه ودفء محبب..

المطر يهطل بغزارة وكأن السماء تبكي وحدتك وغربتك وحنينك..

تتذكر بلدتك العزيزة البعيدة فتفر من عينيك دمعة شوق وحنين ورجاء ..

تتذكر الطرقات ورائحة الورشة المجاورة لبيتك والأسطى (سالم) ذلك الرجل الطيب الذي يعمل في دهان الأثاث ..

تتذكر مشاجراتك ومشاحناتك مع الأصدقاء ..

تتذكر أول يوم خطت فيه يدك أول خطاب غرامي ..

تتذكر محبوبتك ..

ومع صوت المطر المنهمر تعود لذلك اليوم الكئيب ..

اليوم الذي تذكره وكأنه حدث بالأمس القريب..

وكأنه محفور في وجدانك أو مرسوم على جبينك بمداد لا يمحى ..

° ° °

مع المطر تعود الذكريات لي ..

ذكريات ذلك اليوم ..

فمع أول خيوط الفجر كنت أنا أول من استيقظ ..

صليت الصبح والسنة وركعتين لله شكرا على بقائي حيا إلى اليوم التالي وقرأت الفاتحة لوالدي المتوفي ..

هذه هي عادتي ولم أكن لأغيرها لأي سبب ولا أؤجلها لأي ظرف لا شيء سيمنعني عنها إلا الموت ..

أنتهي من أداء فروضي بالمسجد القريب وأعود لأجد والدتي قد جهزت طعام الإفطار أتناوله على عجل وأقبل يدي والدتي وجبينها وأطلب منها أن

تدعو لي رغم أنها تدعو لي دائما دون طلب..

أحمل اللفافة المزدانـه بزهـرة بلاستيكية وأضـعها في كـيس ورقـي مـزين برسومات رومانسية رقيقه أستبشر به ..

أخرج من شارعي الفرعي الضيق إلى الشارع الرئيسي المتسع وأسرع الخطى قليلا حتى أصل إلى موقف السيارات الأجرة وأصـعد إلى إحـدى الـسيارات المزدحمة ولكنني لا أشعر بالزحام أو أشعر بمن حولي..

فاليوم أحد الأيام الرائعة بل هو الأروع على الإطلاق ..

أو هذا ما كنت أظنه ..

توقفت السيارة الأجرة بالقرب مـن مبنـى الكليـة فأسـرعت الخطـى إلى أن وصلت إلى الكلية إلى حيث مكان اللقاء المعتاد.. الحديقة ..

كانت واقفه كملاك يرتدي رداء أسود وكان ظهرها لي أعرفها من أي زاوية أو أي اتجاه أشم عطرها الهادي الذي يطغى على عبير الأزهار ..

وجاءت الصدمة الأولى.. الدموع ..

كانت دموعها تنهمر وعيناها حمراوان ووجهها منتفخ من قلة النوم .

كانت البداية صادمه إرتجف قلبي كأوراق الشجر وانقـبض داخـل صـدري وكأن يدا باردة تعتصره .

اقتربت منها وحاولت أن أجفـف دموعهـا بمنـديل ورقـي فرفعـت يـدها بتلقائية فرأيتها هناك ..الدبلة الذهبية ..

الصدمة الثانية.. الخطبة ..

دارت بي الدنيا وكدت أفقد الوعي فزعا ماذا حدث ليومي ..

ما كل هذا الألم..

ماذا حدث وكيف حدث ولماذا؟؟!

ألقيت عليها آلاف الأسئلة دون جدوى ..

الدموع فقط الدموع التي تهطل أمامي كالأمطار مـصطدمة بجـداري النفـسي محطمة فرحتي وناثرة تفاؤلي كقطع من الزجاج لا ينفع معها إصلاح..

مر اليوم لا أعرف كيف ؟!ولم تتبق من ذكراه..

إلا كلمة واحدة.. المال..

وهذا هو سبب وحدتي وغربتي وكآبتي ..

المال الذي جعل أهل حبيبتي يزوجونها ممن لا ترغبه ..

المال الذي أبعدني عن والدتي وبيتي وشارعي وبلدتي ..

المال لعنة كل العصور ..

يومها أقسمت ألا يكون المال عائقا أمام أي شيء أرغبه ..

وفي كل عام كان رصيدي في البنك يتضخم ..

ويتضخم ..

حتى استحال إلى وحش كبير التهم سنوات عمري وشبابي ..

دون أن أشعر..!!

وها أنا في الستين من عمري ..

وبعد أن أنهكتني الغربة ..

والبعد ..

أجلس وحيدا ..

أحلم بالشاب الذي كنته ..

مفعما بالأحزان والذكريات المؤلمة ..

أتصفح كل يوم حسابي على صفحات الإنترنت ..

فأجده ما زال يتضخم ..

فأغلق جهازي وأطلق العنان لفكري ..

وأبكي ..وأبكي.. وأبكي..

وخاصة في الشتاء ..

فالوحدة مع البرد الذي ينخر في العظام مع سيمفونيات المطر المرهقة تدخلني في حالة شجن وحزن لا مثيل لهما ..

أشعر بالخوف أن أموت وحيدا..

غريبا..

في بلد لا يحمل لي إلا سنوات العرق والمعاناة وجمع الأموال..

يقولون إن المال يشتري كل شيء ..!

ولكن دفء المشاعر والعواطف أشياء خارج القائمة ..

فمن يعطني يوما سعيدا أمنحه البقية الباقية من عمري ..

من يدفئني في الشتاء بحنانه أمنحه كل أموالي ..

لا وسيلة للتغلب على البرد والشتاء إلا بالصحبة البشرية ..

إلا بقلب يحبك ويهواك ويجد الدفء بقربك ..

دخلت ذات يوم إحدى غرف المحادثات التي أكرهها وسألت سؤلا بسيطا.

كيف تمنح النقود الدفء في الشتاء ..؟!!

فكان الرد الوحيد الذي أقنعني ..

قم وضعها في المدفئة وأشعلها هكذا تحصل على دفء [illegible]



أعرف أن شمعة عمري على وشك الذبول ..

ولكن لا بأس ..

بدفقة ضوء أخيرة ..

بصحبة شخص تحبه ..

ولكن ...

كيف تعود لي محبوبتي ..؟

وقد واراها الثرى ..

كيف أعود بالعمر يا ترى ..؟!

هي أشياء لا تشترى...

" جزيرة المنبوذين "

كيف يتأتى لشخص ما أن يقذف بنا في هذا الجحيم ؟!.. ثم يذهب إلى منزله.. ليقبل زوجته.. ويداعب أطفاله.. وينام قرير العين..!!

كيف يستطيع عقل أن يتجاهل ما نحن فيه من ألم ومعاناة.. في هجير الصيف.. وبرد الشتاء..؟!

إننا هنا.. وحدنا.. نبحث عن الموت.. فهو الراحة الوحيدة لنا..

ولكنه أيضا بعيد.. كرفاهية لم نعد نملكها..

وإن كنا نعرف جميعا.. أنه عاجلا أو آجلا.. سيأتي الموت..

إننا نعاني في كل لحظة.. عذاب ألف عام..

يحرقنا المرض بالألم.. ويجلدنا الفراق بالسياط..

إننا المنبوذون.. ضحايا الحرب العالمية الرابعة..

إن ما نمر به وما يحدث لنا.. هو كفر بكل المبادئ والقيم..

لماذا كل هذه التفرقة اللعينة..

فنحن حتى لم نصل لدرجة العبيد.. والذين يعتبرهم الأسياد.. زينة للمنازل.. أو وسائل ترفيه..

إن القصة غير واضحة في أذهانكم.. ولكن لتفهموا.. وتستوعبوا.. وتشاركونا.. المعاناة.. والألم.. والانتقام..

يجب أن نذهب للبداية..

أنا شخصيا لم أشهد البداية بنفسي.. ولكن ما أعرفه عنها.. هو ترسبات متوارثة من جيل إلى جيل.. من حديث الأجداد للآباء.. ومن حديث الآباء للأبناء..

يقول جدي الأكبر:

قبل الحرب العالمية الرابعة.. شهد العالم طفرة رهيبة في جميع المجالات.. اتصالات.. مواصلات.. هندسة وراثية.. جينات وأسلحة.. وحروب.. وحتى شخصيات البشر..

وكما كان يقول دائما.. إن الإنسان في قمة هرم الحضارة.. وأدنى مراتبها.. فالكائنات البشرية تتدرج من الصلاح.. إلى الفساد.. فالتعفن الفكري والجسدي..

إن الإنسان أكثر شيء.. قابلا للفساد في هذا الكون.. إنه المادة الخام لكل

شيء قذر..

يقول جدي الأكبر:

في زماننا غادرت الشياطين الأرض.. فلم يعد لها عمل هناك..

لقد أصبح الشيطان يخشى على نفسه وذريته.. من فساد الإنسان..

الإنسان.. تلك الكارثة التي تمشي على قدميها.. نحو الهلاك في إصرار أسطوري..

يقول جدي الأكبر:

في طفولتي كنت أتسلى بالرسم.. بواسطة اقلام الماهاة الالكترونية.. وكنت أرسم أفضل اللوحات.. وكان يوجهني الربوت المنزلي ويثني علي.. كنت بذرة لنبتة قوية..

وحينما كبرت.. وجدت أن لوحاتي تفاهات.. ولكني لم أستطع أن أمزقها.. أو أحرقها كما كنت أنوي..

فبقايا الطفولة المتمردة بداخلي.. أجبرتني على شيء كنت أريده ولا أريده..

احتفظت بها حتى ذهبت.. مع من ذهب في الحرب..

صدقني إن الحرب بشعة..

ولكن أبشع ما فيها رأيناه هنا في جزيرة المنبوذين..

ملايين المرضى.. و المبتوري الأطراف.. والجياع.. والمجذومين.. والمشوهين..

يقول جدي الأكبر:

بعد الحرب العالمية الرابعة.. تغيرت خريطة العالم.. واختلفت موازين القوى..

دول بكاملها انمحت.. وشعوب بكاملها اختفت.. وجزر كثيرة غرقت في المحيطات..

كان الدمار شاملا.. وهائلا..

ولكن التكنولوجيا كانت قد وصلت إلى حد رهيب.. حيث أمكن احتواء آثار الحرب الرهيبة.. البيولوجية.. والإشعاعية.. في عشرين عاما..

وبدأ رسم خريطة العالم من جديد..

أصبح الصهاينة قوة لا يستهان بها.. والصين أصبحت القوة العظمى.. والتي قسمت العالم كمستعمرات.. بينها وبين حلفائها..

لم يعد هناك اتحادات أوروبية.. ولا أحلاف عسكرية.. ولا قوات حفظ سلام.. ولا شيء من كل تلك الأشياء القديمة..

الصين وحلفاؤها حكموا الأرض بالحديد والنار.. والصهاينة ككل كلب وفي.. أخذت تتمسح في أقدام الصين.. بعد أن وجدتها الحليف القوي.. وأعطت لأمريكا الأم الرؤوم ظهرها.. بل واشتركت في الهجوم عليها في الحرب الأخيرة..

وكعادة العرب منذ فجر التاريخ.. تم استغلال قوتهم البشرية.. وثرواتهم.. وتلقوا كالعادة الضربات الأولى.. ولم ينج من الضربات إلا الجزيرة العربية.. والتي تم تحويلها إلي مستعمرة كبيرة.. وسجن ضخم يضم المرضى.. والمصابين من جنود العدو وحلفائهم..

كان المنتصرون.. وعلى رأسهم الصين.. قد استخدموا البشر الناجين من الدول المنهزمة كعبيد.. في المزارع.. والمصانع.. وكل الأعمال الخطرة أو الدنيئة لقد كان عصر البشرية الأسود.. وهذا إلى جانب الروبوتات..

يقول جدي الأكبر:

كانت قوات الجيش الطبية تخضع كل العاملين في المستعمرات.. إلى كشف طبي دوري.. ومن تثبت إصابته أو تكون هناك شكوك لإصابته.. يتم عزله.. ونقله فورا إلى الجزيرة العربية.. وذلك لتفادي انتقال الأمراض..

ولا يخفى عليكم.. فقد كانت الأمراض في المستعمرات من كل نوع..

التشوهات فاقت كل ما جاء في المراجع الطبية..

السرطان هو السيد الأعظم..

والطاعون سيد الجيوش..

والجذام هو القناص..

القتل الفوري.. هو العقاب لكل من يحاول أن يخرق حدود المستعمرة.. أو يهاجم أيا من الدوريات الآلية..

التكنولوجيا مكنت المراقبين.. من رصد كل ذبابة تحاول الدخول أو الخروج من المستعمرة.. لا يمكن لشيء أن يمر دون تصريح ولا يوجد أحد هناك يمنح مثل هذه التصاريح..

يقول جدي الأكبر:

حاول أحد السياسيين الصهاينة البارزين.. تمرير قانون للقضاء على المرضى والمصابين.. بوصفهم كائنات همجية فقدت كل ما يمت للبشر بصلة.. وأنها تعتبر نفايات سامة ناقلة للأمراض..

كانت تلك الكلمات السابقة من حديثه السياسي.. التي عرضتها الشاشات الضخمة.. الموجودة في أطلال الميادين.. والتي تلتقط بثا مشوشا من هناك..

ولكن الجمعيات الصينية الحقوقية.. وقفت ضده.. ولم يستطيعوا تمرير القانون.. بل وأصبحت المساعدات تلقى من الطائرات.. واستغلت شركات

السياحة الأمر ورتبت أفواجا من الصين والدول الحليفة.. لمشاهدة جزيرة المنبوذين والشعوب الهمجية الباقية هناك..

وكم كان الطفل الصغير.. يتلقى الثناء من الربوت المنزلي المصاحب له.. حينما يلقي بعلبة طعام محفوظة.. أو زجاجة حليب أو عصير.. إلى المنبوذين من الحوامة السياحية.. ويضحك وهو يراهم يتصارعون عليها..

يقول جدي الأكبر:

إنهم في المستعمرة.. تعلموا أكل النباتات المصابة.. والحيوانات النافقة بكل أنواعها..

وتعلموا أخيرا.. أن يتحدوا في جماعات.. بل وانتخبوا زعيما من بينهم لينظم شؤونهم..

وتعلموا أن يجمعوا المساعدات والأطعمة.. التي تلقيها لهم الحكومات.. ويوزعوها بالعدل..

ومع تناقص أعدادهم المستمر.. استطاعوا أن يخزنوا كميات منها للطوارئ..

وتعلموا أيضا.. أن يحرقوا موتاهم يوميا.. لأن القبور لم تعد تتسع للمزيد..

وتعلموا أن يمارسوا حياتهم وينصاعوا لحكم القدر

وكانت كلمات جدي الأخيرة:

(عيشوا أيامكم القليلة الباقية في سلام.. ولا تفسدوها أكثر ..)

ولكن القدر كان يخبئ شيئا آخر..

لم يمر الأمر كما كان مخططا له.. لقد كان للإشعاعات والفيروسات.. أثر رهيب على الجينات والخلايا البشرية..

وحدثت الطفرات..

وولدت الوحوش..

كانت نساء المنبوذين تلد وحوشا.. كائنات مشوهة ذات ذكاء خارق.. وانتماء.. وولاء لقومهم..

والتف المنبوذون الذين تتناقص أعدادهم باطراد حول الوحوش.. أولوها العناية.. وأشرفوا على نموها.. واهتموا بها ..

وكانت عيونهم تتسع هلعا وحماسة.. كلما رأوا أبناءهم الوحوش يزدادون.. قوة.. وشراسة.. وذكاء..

وأنشؤوهم على التهام الجثث المتساقطة يوما خلف يوم..

وبدأت تظهر الوحوش المكتلمة.. فائقة الذكاء..

إن الجسد البشري يثبت قدرة فائقة..بعد التحور.. على التكيف..

كانت الكائنات تنمو.. ومعها تنمو الكراهية.. كغول عملاق تتسع أنيابه لالتهام العالم..

وكنت أنا كاتب هذه السطور.. قائد جيش الوحوش الضاري..

الذي تربى في الأنفاق.. والمدن تحت الأرضية.. بعيدا عن عيون المراقبة.. ودوريات الربوتات..

أنا أكتب للتاريخ هذه الأحداث.. ليسجل هذه اللحظات المجيدة..

فمع غروب الشمس يبدأ الهجوم..

وتشتعل الحرب..

لاستعادة الحرية..

...

بعد مرور عدة ساعات..

غربت الشمس وتوارت خلف السحب القاتمة.. ومعها أشرقت شمس الحرب والدمار..

ووقفت القلة الباقية من المرضى والمنبوذين والمشوهين.. وقد ظهر بريق أمل جديد في عيونهم المنطفئة.. وهي تشاهد الآلاف من أبنائها الوحوش.. سرهم الأعظم.. وانتقامهم الأخير يتهيؤون للهجوم..

كان المشهد مرعبا لأقصى حد.. وجيش الوحوش يبدأ في التحرك..

لم تكن تحركات عادية أو عشوائية..

ولكنها كانت تحركات تكتيكية منظمة..

فرقة استكشافية.. تأكدت مرة أخيرة من مواقع جنود العدو.. وأمنت الطريق لفرقة الهجوم الأولى.. التي تنحصر مهمتها في القضاء على فرق الحراسة الخاصة بالعدو.. من بشر وربوتات..

ولا أخفي عليكم..كان الهجوم ضاريا.. المخالب تمزق الوجوه وتفقأ العيون.. والأنياب تفتك بالحناجر والصدور..

دارت معارك دموية تكتيكية.. تدل على استراتيجية وذكاء عال..

واستولى المرضي والمشوهون والمنبونون.. على أسلحة قوات العدو الممزق.. واشتركوا في المعركة..

كان الهجوم خداعيا.. وعنيفا.. ودمويا..

ولكن قوات العدو كانت قد رصدت الأمر..

وبدأت في التحرك..

في نفس الوقت كان جيش الوحوش يتقدم.. ويكسب مواقع وأسلحة ومناصرين..

فالعبيد في كل مكان بدؤوا في الثورة.. وبدأت قلاقل داخلية وخارجية..

وأعلنت حالة التأهب القصوى.. وتدخلت الجيوش لوقف الزحف.. وقمع حالات التمرد..

وكما حدث مع اسبارتاكوس..

الذي تصدى للحضارة الرومانية.. فسحقته هو وحفنة العبيد المصاحبين له..

تصدت الأسلحة الدفاعية.. والقوات الهجومية..

للزحف المتقدم..

وأثبتت الأسلحة الحديثة.. مدى تطور البشر في هذه الحقبة..

فقد سحقت الوحوش فائقة الذكاء في ساعات معدودة..

فماذا يفعل الوحش الأعزل فائق الذكاء.. أمام دفقات متتالية من مسدس نيتروني..

وقبل أن أصاب أخبرني شيخ مشوه يحتضر..

بأنه سعيد.. وهو يموت دفاعا عن حريته..

وقبل أن يموت وعلى شفتيه ابتسامه رائعة..

وأخبرني بسر خطير..

بأن مجهودهم لم يضع هباء..

فهناك مجموعة من البشر الأصحاء..

ومجموعة من الوحوش الأطفال..

تم عزلهم في مخبأ نووي غير معروف..

ليكونوا الجيل الثاني الذي سيحارب..

من أجل الحرية..

وزاد هذا من حماسي..

حتى إني فقدت حذري..

وهاجمت بعنف..

وأصبت..

وأحتضر الآن..

إن حياتي لم تضع كما قال..

ولكني كنت أتمنى..

أن أرى الجيل الجديد..

جيل المقاومة..

فنحن نعلم أن جيلنا أخذ فرصته..

والجيل القادم لن يستطيع أيضا..

ولكن كل ما نأمله أن تستمر المقاومة..

حتى يأتي الوقت المناسب..

آه.. أعتقد أني سأموت الآن..

ولكني كلي أمل في جيل المقاومة..

و أتمنى أن..

..

"فتاة ليل"

القتلة دائما غير متفرغين..

وهذا من واقع خبرتي الطويلة..

إن لديهم حياة كاملة يعيشونها.. لديهم أعمالهم وعلاقاتهم وهواياتهم..

بل إن منهم من يؤدون طقوسهم وشعائرهم الدينية.. بانتظام..

ليس القاتل..وحشا ذا أنياب طويلة.. ومخالب حادة.. ووجهه مليء بالبثور..

إنه إنسان.. ويخضع لكل ما يخضع له غيره من البشر..

فلا تتعجب كثيرا.. لو رأيت قاتلا يشكو من غلاء الأسعار.. أو يسب البائع الذي يطفف في الميزان..

إن القتلة بشريون..وليسوا جنسا آخر..له أذناب وقرون..

والسطور القادمة.. تحكي لكم قصة تحولي لقاتل متسلسل.. ذي ميول

عدوانية واضحة..

البداية..

الكل يريد أن يعرف البداية.. إذا لا بأس حتى أضعكم في جو القصة..

إن للخوف سطوة عجيبة.. وما أروع أن تتمزق مشاعرك.. بين حرارة الإثارة.. وبرد الرعب..

لم تكن البداية صاخبة.. ولم تكن رتيبة..

أنا أعتقد أن بداية تحول أي إنسان لقاتل.. هي أحد سبيلين.. إما حب فاشل.. فيحقد على جنس النساء عموما..

أو زواج فاشل.. فيكره الجنس البشري بلا استثناء..

وتحضرني مقولة شخص.. مقرب مني جدا.. كان يقول:

إن آلية تحول كل كائن.. من ملكوت الخير إلى الشر.. هي لحظة ضعف.. يسلم فيها قلبه.. وكيانه.. ومصيره..لمن لا يقدر كل هذا..

ولنذهب للبداية..

كان قد مر علي في هذه الدنيا.. عشرون شتاء.. وكان الأمل في مستقبل أفضل.. هو ما يداعب طموحاتي.. بأنامل حريرية..

رأيتهـا ذات مسـاء.. تـستند إلى أحـد أعمـدة الإنـارة.. غارقـة في الظـل المحبب.. الذي يمنح صاحبه جاذبيه لا تقاوم..

كانت غارقة في السواد.. فشعرها أسود حالك.. وأظافرها وشفتاها يغمرهم طلاء أسود لامع.. وترتدي ما يشبه حمالة الصدر السوداء.. إلا أنهـا تمتـد إلى ما قبل السرة.. كاشفة عن بطن مشدودة.. لتهبط إلى شورت أسود جلدي قصير.. بل قصير جدا و..

أراكم تتذمرون من الوصف.. إذا لأجعل الوصف أكثر حياء..

كانت ترتدي رداء فتاة ليل سـاحرة.. ودخـان سـيجارتها القاتـل.. يـصنع حولها لوحات سريالية.. تضيف للمشهد إثارة ومتعة و؛؛

امممممم ..امممممم ..

ما تفعلونه اليوم غير طبيعي..دعوني على سجيتي.. كي أكمل السرد و.. عندكم حق..لأختصر.. حتى لا أضايق العديدين منكم..

أحببتها.. وجذبتني طلتها الأولى.. وثيابها التي أضفت عليها رونقا خاصا مختلفا..

إن هذه الثياب لو كانت على أنثى أخرى.. لنعتها أقل شيء بالفاضحة..

ولكنها كانت تكمل لوحة الإثارة والدفء بداخلي..

نعم هي فتاة ليل إنها (سنوايت).. حينما تحترف البغاء.. فهل تـستطيع أن تنعتها بالقبيحة..

كانت أجمل أنثى رأيتها في حياتي.. ولكن الأيام أظهـرت لـي.. أن جمـال الشكل.. من الممكن أن يخفي أسفل منه روحا سوداء تمتلئ بالعفن والقيح..

كانت لدى سنوايت روح ساحرة شريرة..

كانت تحتقر كل شيء.. حتى نفسها..

كانت قد توغلت في مستنقع البشرية القذر.. ونالها منه روح مشوهة..

صارحتها بحبي..بعشقي.. بولهي..

فقالت : لا بأس.. ما دمت ستدفع الثمن..

صدمت لكني تجاوزت صدمتي.. وساد الصمت بيننا لعدة دقائق.. وأنا أنظر إليها بطرف عيني.. وبعد مرور بعض الوقت في صمت..مدت يدها تداعبني فأبعدتها بسرعة.. وكأن من لمسني هو ثعبان يسعى للنيل مني..

وقلت لها: لم فعلت ذلك..؟!

قالت وقد بدأت تتململ في مقعدها: هـي عـادة لا أكثـر ثـم إنهـا أشياء لا يرفضها الرجال.. ولا يسألون عن جدواها.. إنك غريب الأطوار حقا..

وتجاهلت نعتها بغريب الأطوار.. وقلـت إن أقـصى مـا أريـده منـك هـو

الصحبة.. والبقاء بالقرب من هذا الجمال لأكثر وقت ممكن.. حتى ولو كان هذا الوقت مدفوع الثمن مسبقا..

قالت في لامبالاة : كلكم تقولون هذا في البداية.. ثم تتغلب عليكم غرائزك الحيوانية..فتصلون في أخر الأمر.. إلى ما كنتم تدعوا..أنكم غير واصلين له في البداية..

إنكم معشر الرجال لا تحفظون عهدا أمام امرأة جميلة أو سهلة المنال.. فما بالك بمن دفعت لها نقودا..

غلى الدم في عروقي.. وظهر وهجه على وجهي.. فقلت لها: أنا لست مثل باقي الرجال.. ولست وغدا كما وقر بداخلك.. إنني شخص لا يريد أكثر من مجالسة كل هذا الحسن.. وقضاء وقت لطيف في المسامرة و..

انطلقت صرختها عالية احتتتتتتترررررس..

رفعت عيني على الطريق من جديد.. لأجد حافلة ضخمة آتية أمامي مباشرة.. وكان الاصطدام وشيكا.. لولا أن تمالكت أعصابي.. وأدرت المقود بأقصى سرعة ناحية اليمين.. لتخرج السيارة عن الطريق الأسفلتي..غائصة بأحد إطاراتها في الرمال.. صانعة سحابة عاليه من الغبار.. قبل أن تعود للطريق الرئيسي.. معلنة نجاتنا من حادث مروع..

أوقفت السيارة على جانب الطريق.. وأشعلت أضواء الانتظار.. وارتمت الفتاة على صدري باكية.. وقد هالها أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت..

كان الأمر رائعا.. وبالطبع لا أقصد بذلك وجودها على صدري.. ولكن اقترابنا من حافة الموت.. ثم العودة من دون خسائر.. إنها مغامرة لا بأس بها أبدا..

ولكن ما أقلقني.. هو شعوري في مواجهة الموت.. لقد كان اللامبالاة..لا خوف.. ولا إثارة..

أتت الإثارة بحرارتها اللاهبة.. بعد انتهاء الموقف..

قمت بقيادة السيارة من جديد.. واتجهت نحو منزلي..وما إن وصلت إلى مربعي السكني.. حتى بدأت السماء تقذفنا برذاذها..غضبا..أو احتفالا..

دخلنا إلى المنزل مسرعين..خشية البلل..

كان هذا المطر غريبا في هذا الوقت.. فالجو صحو.. حتى إننا نرتدي ملابس خفيفة.. ليست صيفيه ولكنها خفيفة.. حتى إن فكرة غريبة راودتني.. فكيف كانت تقف سنوايت.. بردائها الذي يكشف أكثر مما يستر.. في الأجواء المطيرة..

وكم حسدت النسيم الذي يلامس.. احم احم

لنعود للسرد.. حتى لا تشتعل العيون شررا.. فهذه هي مشكلة الأدب الغربي المنفتح.. في البلاد الشرقية..

دخلت المنزل خلفي مسرعة.. وأخذت تجول بعينيها.. وتعبث بيدها في أرجاء المنزل.. لقد استباحت منزلي.. لمجرد أن أباحت لي جسدها.. وأنا لا أقبل بمثل هذه المقايضة..

إن جمالها لا يقاوم.. ولكني مع الوقت اكتشفت أنها مجرد قشرة.. تغلفها من الخارج..

إنني أمام كيس من الروث.. موضوع في غلاف براق..

إن الجسد البشري يصاب بالأمراض.. وبالتقيحات.. والبثور.. وينز بالصديد..

وكذلك الروح..التي قد تتعفن.. وتتقيح بداخل الجسد البراق..

عرفت من أول لحظة دخلت فيها منزلي.. أن الأمسية فاشلة.. وأن نقودي قد ذهبت أدراج الرياح.. ولكن أكثر ما أحبطني.. وجعلني أعد نفسي للقضاء على الوحش جميل الوجه والجسد.. هو فقداني للشعور الرائع.. الذي تملكني عند رؤيتي لها في أول مرة..

كانت كحورية ترتدي رداء جلديا أسود.. تتألق في ليل بهيم كجوهرة لامعة.. وابتسامتها المضيئة قمر آخر.. يقف مستندا لعمود الإنارة..

ولكن التي أمامي الآن..هي نفاية بشرية.. بليت من كثرة الاستعمال وسوئه..

إنها وحش رائع الجلد.. يجب التخلص منه لإخلاء الأرض.. من مشاعر خبيثة..

بالطبع لم أقتلها مباشرة..

ولكن ردودها الصادمة.. اللامبالية.. والتي تشعرك..بأنك غصت في مستنقع عفن خبيث..

هو الذي بدأ الشرارة.. ونكاها..حتى أحرقتها..

وكما واجهت الموت.. بوجه سافر.. جامد.. لا يحمل مشاعر..

مارست القتل بآلية.. وكأنه شيء اعتدته.. ومارسته مئات المرات..

لا لم تكن في المرة الأولى صرخات.. ولا مقاومة.. ولا دفاعا..

إنني لم أكن لأقتل إنسانا.. وعيناه في عيني.. يبادلني النظرات..

لقد كانت جريمتي الأولى.. لا تثير الحماس.. بقدر ما كانت أساس كل جرائمي التالية.. والتي مارستها باستمتاع.. وفن..

نعم لا تتعجبوا.. فحتى القتل.. له طرق وأساليب مختلفة و..القاتل المميز هو الذي يبتكر.. وينهي جريمته.. بشكل رائع منظم..

بالطبع جميعكم تتعجبون.. من سردي هذه الأحداث لكم..

لا داعي للعجب..

فإن ما تقرؤوه الآن.. هو مذكراتي التي كتبتها أثناء انتظاري.. لاستئناف حكم الإعدام.. بعد أن قبض علي.. وصدر الحكم في حقي..

° ° °

(تعليق ناشر المذكرات)

لم تستطع الحكومة تنفيذ حكم الإعدام في هذا السفاح الآثم.. نظرا لأن الموت اختطفه قبل تنفيذ الحكم بساعات..

" فينوس "

اسمه زينهم.. ليس أعجب.. ولا أغرب اسما..

اسمه زينهم.. لكنه كان طيب القلب.. وحنونا..

اسمه زينهم.. وكان يعمل.. وسط الموتى..

اسمه زينهم.. وأصبح الآن.. من الموتى..

صعد زينهم إلى السماء.. ذات ليله صيفية خانقة.. بعد أن أدى صلاة العشاء مباشرة.. ومات في عمله.. وعلى مقعده المبطن بالقماش والقطن.. يدويا.. على باب المشرحة..

كان أبي يعمل هناك.. ومن حراسة أجساد الموتى.. وإحراق بقاياهم.. التي تحولت إلى أشلاء بنية عجيبة الشكل.. لا تشبه أصلها أبدا.. بفعل الفورمالين.. بعد أن خرجت من معركة العلم ممزقة..كان يحصل على رزقه ..

كان أبي يجلس هناك دائما.. في الضوء الخافت.. والذي يصنع ظلالا مخيفة.. ليكتمل جو الرعب..

كنت دائما ما أخبر أمي.. بأني لا أريد الذهاب إلى هناك..

وكنت أقول لها إن المشرحة تخيفني.. وإنها مليئة بالموتى المرعبين..

فكانت تقطب جبينها.. وتقول أنت رجل.. والرجال لا يخافون الأموات.. بل يدعون لهم..

ثم تستطرد: بل إن الأموات تشعر معهم بالأمان.. فلا حيلة بأيديهم ليساعدوا أنفسهم.. فكيف يضرونك..؟!

فكنت أقول لها بعناد: لا أعرف.. ولا أريد أن أذهب هناك..

وكالعادة كانت تجبرني على الذهاب.. إلى المكان الذي أخشاه كخشية الموت.. وربما أكثر.. إلى المشرحة..

كان ذلك وأنا صغير.. ولكني الآن أنهيت دراستي.. في أحد معاهد الكمبيوتر.. التي ليس لها مستقبل.. واحترفت الجلوس على المقهى..

وكما يقولون: التعود يقتل الغرابة.. ويقتل الخيال.. ويمحو الرعب..

أصبحت أذهب دائما إلى المشرحة.. محتميا بوجود أبي.. واثقا أنه طالما كان موجودا.. لن يصيبني الضرر وسيذود عني.. أمام أي جثة هائمة..

في مكان مثل المشرحة.. يفعل الخيال الخصب ألاعيبه.. وتتخيل أن كل جثة.. وحش سينهض ليلتهمك.. وكل ظل شبح أتى للانتقام منك..

لم تعد المشرحة غريبة عني.. ولم أعد غريبا عنها.. وإن كانت علاقتنا.. علاقة الحمل والذئب المتربص.. ويوما ما ستنقض المشرحة عهدها الصامت.. وتطلق علي وحوشها.. ولكني لم أكن وحدي.. فهناك (زينهم) أبي..

حيث يرقد الأمان هناك.. بين كفيه الخشنتين.. وشاربه الكث الضخم.. ونظراته الصارمة..

إذاً لا بأس.. ما دام ميزان القوة متساويا.. عندها الجثث والأشباح.. وعندي أبي (زينهم) ..

ولكن ماذا يحدث حينما تفقد إحدى القوتين العظميين سلاحها الرادع..؟!

الكل يعرف الإجابة بالطبع.. ينهار كل شيء..

وكما انهار الاتحاد السوفيتي.. أمام الولايات المتحدة..

جاء انهياري.. وإن لم يكن له نفس الدوي..

وأقسمت ألا أذهب إليها ثانية.. فصلتي بها قد انفصمت.. وإن كانت لن تفارق خيالي.. وستحول أحلامي إلى كوابيس..

وما إن قام هادم اللذات.. ومفرق الجماعات.. بقبض روح (زينهم) .. أبي الطيب..

الذي عاش وسط الموتى..ودفن معهم.. ويبعث يوم القيامة إن شاء الله معهم..

حتي إختلفت الأمور..

أعرف أن ما فات مقدمه طويلة.. و لكن لا بد منها كأساس.. لكل الأحداث القادمة..

بعد وفاة أبي..استطاع عمي أن يلحقني رغما عني.. بنفس مهنة أبي.. كعامل في المشرحة..

فعمي هذا.. مقاول كبير.. وله اتصالات كثيرة.. كما أن سمعة أبي الطيبة.. كانت تسبقني إلى العمل..

ولأن الخوف أقل وطئا على الإنسان.. من أنياب الحاجة..

فقد استسلمت لقدري.. كي أعول أمي.. وأعول نفسي..ولا أمد يدي..لقريب.. أو غريب..

فمرة يعطيني بنفس راضية.. ومرة يعطيني متأففا.. وأخرى يصدني..

لا بأس أن تستمر المعركة..برغم فقداني لأهم أسلحتي..

(زينهم) أبي..

ولتستعدي أيتها المشرحة.. فقد جئت إليك بسلاح ماض وجديد..وهو اللامبالاة..

كان لدي سلاح آخر.. وهو الإيمان بأن الموتى..لا يبعثون إلا يوم القيامة..

ولكن من يُحرق بالنار.. ليس مثل من يسمع عنها..

وفي يوم خريفي مترب.. وعلى ما أظن أنه كان يوم ثلاثاء.. كان يوما مقبضا..حيث تخلو الشوارع من المارة..وتشعر فيه أنك بحاجة لرفقة.. وأنك وحيد بحاجة للبكاء.. إن الشجن كالجحيم يسري في خلجاتك..

في هذا اليوم الأسود.. والذي شعرت فيه بفقد أبي بشده.. وبكيت من فراقه.. تسلمت العمل..

وكأن الناس زهدوا ارتكاب الجرائم.. والقيام بالمزيد من الحوادث.. كانت المشرحة خالية..

إلا أن رائحتها الشبيهة برائحة الموتى.. التصقت بأنفي.. وعرفت بعد ذلك أنها رائحة الفورمالين..

كانت مخيفه مفزعه.. لم تنظرون لي هذه النظرة..؟!

من قال إن المشرحة الخالية لا تثير الخيال والرعب ؟؟!!!

الضوء الخافت في الممر.. الرائحة الخانقة.. الظلال.. ثم العدو الجديد.. الخيال..

فكل ميراثي من حكايات جدتي وأمي.. عن الأشباح.. والجن.. وقتلى الثأر الذين يعودون.. والغولة.. والنداهة تجسدت أمامي.. لتحيل أيامي الأولى إلى الجحيم..

ومع مرور الوقت.. وخلو المشرحة.. بدأ مد الخيال ينحسر.. ورهبة الموقف تزول..

وان بقي بداخلي جزء يخشاها كالموت.. ولكنه استحي من باقي إخوته الصامتين.. فانتحى جانبا قصيا من ذاكرتي.. وإن ظل متيقظا ليعلن بأعلى صوته.. أنه على حق.. وأن الجميع على خطأ..

وبعد أيام قليلة.. لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.. وأثناء جلوسي أمام باب المشرحة.. أحتسي الشاي الثقيل.. وأقطع الوقت بقراءة جريدة قديمة..

سمعت دوي سيارة الإسعاف.. ومن خصاصة النافذة.. شاهدت الأضواء الملونة.. وهي تدور في تتابع دون كلل أو ملل.. وانقبض قلبي.. وتسارعت دقاته.. وغاص الدم من وجهي.. فزاده شحوبا على شحوب..

وعلى عجل.. وفي روتينية غريبة.. اندفع اثنان من المسعفين.. يدفعون

محفة بالية ذات صوت مزعج وفوقها.. رقد جسد ما.. مغطى بملاءة بيضاء حال لونها.. إلى داخل المشرحة.. وأنا أهرول خلفهم.. مصدوم.. لا أعرف ماذا أفعل وماذا أقول..؟!!

ولكنهم كمتمرسين.. حملوا الجثة..ووضعوها في أحد أدراج الثلاجة الضخمة.. الخاصة بحفظ الموتى.. بعد أن علقوا في إصبع قدمها اليمنى الكبير.. بطاقة بلاستيكية.. كتب عليها فاقدة الأهلية.. وأعطوها رقما.. ووقعت على إحدى الأوراق بالاستلام.. فانصرفوا مسرعين بعد أن طيبوا خاطري على والدي ومدحوه.. ثم خرجوا مسرعين.. لتختفي الأضواء الملونة.. ويخفت الصوت الصادر عن السيارة.. كلما ابتعدوا إلى أن عاد الصمت إلى المكان.. وعاد الهدوء واصطحب معه رفيقا جديدا.. كنت أظن أنه غادرني إلى الأبد .. الخوف..

فكما قلت لكم.. الضوء الخافت.. الصمت المقبض.. الرائحة الخانقة.. الخيال.. وأضيف للمشهد.. جثة طازجة..

إن أبشع كوابيسي في سبيله للتحقق.. الجثة التي ستنهض.. وتنتقم مني..

كيف سأقضي اليومين القادمين.. مع الجثة وحدي..

إن عملي ليلي.. أتناوبه مع عامل كبير السن.. أعطته خبرته وسنوات

عمله.. الأحقية في الدوام الصباحي..

واليوم الخميس.. ولا أحد يأتي ليلا.. وغدا الجمعة.. حيث أداوم نصف يوم أو معظم اليوم.. حسب ظروف عمي خليل.. العامل الآخر..

أي إنني والجثة.. سنظل في مكان واحد معا..نتبادل كؤوس الخوف والهلع..

كنت أروح وأغدو في الممر.. تلتهمني أفكاري.. وينضح عقلي بآلاف الهلاوس.. حتى كلت قدماي.. فعدت كسيرا إلى مقعدي.. وإلى كوب الشاي.. الذي صار باردا.. كالجو من حولي..

وإن كنت لا أعرف يقينا.. أهو برد الجو.. أم برد الخوف..؟؟

مددت يدي لكوب الشاي البارد.. وجرعته مرة واحدة.. كي أرطب جوفي.. وأزيل المرارة التي تسللت لحلقي..

ثم أخذت أحدث نفسي.. بعد أن نظرت إلى الساعة الرقمية الرخيصة الملتفة.. حول ساعدي.. لأجدها تقترب من الثامنة والنصف..

إن الليل ما زال طفلا.. أين قرأت هذه العبارة..؟؟ لست أدري..!

بعد أن جلست على مقعدي.. وشربت الشاي.. بدا كأن السائل البارد...قد لطف الأجواء بداخلي.. وبدأت أستعيد قواي..رويدا.. رويدا..

إلى أن سمعت الصوت.. كأن هناك من يحفر بأظافره.. في سطح الباب الخشبي..

كان الصوت رهيبا.. ولم أسمعه يحدث من قبل..

هناك من يخمش في الباب بأظفاره.. محاولا الخروج من المشرحة.. ولا يوجد أحد هناك.. غير الجثة..

وانتصب شعر جسدي بالكامل.. وكاد قلبي يخرج من صدري..وانتفضت واقفا.. وآخذت أعدو إلى الباب الخارجي.. ثم توقفت.. وأنا ألعن جبني.. فقد يكون ما حدث محض خيال وأوهام.. أحدثها وجودي مع الجثة لأول مرة.. في مكان واحد..

عدت حذرا من جديد.. بالقرب من الباب الخشبي القديم.. والذي سمعت منه الصوت المرعب..

كان الصمت يغلف المكان.. ليثبت لي.. أن كل ما حدث.. محض هلاوس وضلالات..

ولكني أردت أن أتأكد أكثر.. كي أكون أكثر يقينا.. فاقتربت برأسي من الباب.. وألصقت أذني بسطحه الأملس.. وأخذت أنصت.. بكل وجل وترقب..

وفجأة عاد الصوت من جديد.. مصحوبا بصوت مواء عال.. جعلني أنتفض وأتراجع للخلف.. دون حذر.. فأصطدم بالمقعد.. وأسقط أرضا.. لأقوم واثبا من جديد.. لأهرع نحو لباب الخارجي..

وأثناء عدوي توقفت فجأة.. ثم أخذت أضحك..في هستريا ..

لقد سمعت مواء.. وخمش مخالب.. يا إلهي.. إنه قط ضال..!!!

ولعنت نفسي من جديد على جبنها..وعقلي على خياله المريض.. وعدت أكثر حذرا.. وأخرجت المفتاح من جيبي.. وأولجته في الرتاج.. وفي حركة مزدوجة.. دفعت الباب.. وتراجعت للخلف.. فانطلق القط الضال يعدو.. في الممر خافت الإضاءة..حتى وصل إلى الباب الخارجي واحتواه الليل..

ورغم معرفتي بأن القط سيخرج عدوا.. إلا أنني أجفلت..وتسارعت دقات قلبي من جديد.. ولكنني هذه المرة أطلقت ضحكات عالية.. بلا معنى..

والتقطت المقعد الخشبي.. من أرضية الممر.. وأعدته لوضعه الأصلي.. وجلست عليه حتى ألتقط أنفاسي..

لا أخفي عليكم.. لقد قضيت عدة سنوات في المشرحة مع أبي.. إلا أنني لم أر جثة في حياتي.. كانت علاقتي بالمشرحة تنتهي قبل الباب الخشبي.. ولا تتعداه أبدا..

ولم يحاول أبي الطيب.. ولو مرة واحدة.. أن يجعلني أخوض هذه التجربة المريعة.. فقد كان يعامل الموتى بتحفظ.. دون خوف.. ويقول دائما إن للموتى حرمة.. لا يجب أن ننتهكها أبدا..

وبرغم أنه يعمل في إحدى كليات الطب.. ويجمع يوميا أشلاء معارك الطلبة.. مع الأجساد البنية الأقرب لجذع شجرة.. في الشكل منها لجثة.. ليقوم بحرقها.. بعد أن بعثرت.. وانتهكت.. وصارت كأي جماد ملقى بلا اكتراث..

إلا أنه كان يعاملها بكل احترام.. ويقرأ لها بعض الأدعية والآيات القرآنية.. ثم يتركها لتتحول إلى رماد..

وتلك الأجساد المتناثرة أمامه..قد تكون كما كان أبي يقول.. لصديقه خليل.. إذا ما اجتمعا معا:

قد تكون لرجل صالح أو امرأة صالحة.. لذا يجب أن نعاملها بكل احترام.. طالما لم تجد الاحترام الكافي في الدفن..

وكان عمي خليل يهز رأسه موافقا..

لأذهب أنا إلى البيت.. وأحلم بالأطراف المبتورة.. والبطون المبقورة.. والرؤوس المهشمة.. والبقايا التي تحرق..

وكم ليلة مرت علي.. وأنا أختبئ تحت الغطاء.. لأتجنب الظلام.. والأفكار.. حتى أنام مرهقا.. لأستيقظ.. وكأن حافلة قد صدمتني..

كل هذه الهلاوس والأوهام.. دون أن أرى جثة واحدة.. وإن كنت أرى دائما المحفة البالية.. والجسد راقد فوقها تغطيه الملاءة..

حتي إنني تساءلت بعد أن هدأ روعي.. ما شكل الجثث..؟؟؟

وكيف تكون بعد أن تفارقها الروح والحياة..؟؟؟

وبدأت فكرة مخيفة تتكون في عقلي..

نظرت للساعة من جديد.. الحادية عشر مساء.. لم يصبح الليل مراهقا بعد..

كنت أحدث نفسي دون صوت.. وأحث نفسي على الدخول للمشرحة.. ورؤية الجثة بالطبع..

لا توجد أشلاء.. ولا بقايا ممزقة.. فعمي خليل قام بإحراقهم في الفرن الكبير.. رأفة بي..

تساءلت من جديد.. تري كيف يكون شكل الجثة..؟؟

أهي تصبح سوداء بعد وقت ما..؟؟ ام هي بلونها الطبيعي..؟؟؟ لقد سمعت من يقولون إنها تصير زرقاء..؟؟

وأخذت الدقائق تمر.. وأنا أقلب الفكرة في رأسي.. وأستعد لدخول المشرحة.. لرؤية الجثة لأول مرة..عن قرب..

أنا متأكد من أنها ستكون.. تجربة شنيعة.. ولكن الخوف هدأ.. وأتى الفضول على جواد جامح..

الثالثة بعد منتصف الليل..

لقد عبر الليل مرحلة الطفولة.. والمراهقة..ليصير الليل وغدا.. في قمة عنفوانه..

دفعت الباب الخشبي الذي لم أغلقه.. بعد أن خرج القط الضال..وبدأت أخطو خطوة وأتراجع خطوتين..

الجو بالداخل بارد كئيب.. والرائحة الخانقة.. تفعم المكان..والخوف يصطحبني كرفيق.. والفضول بدأ نجمه يأفل..

اتجهت نحو مفاتيح الإنارة وأشعلتها كلها.. لتصير المشرحة مضاءة إضاءة معقولة.. وأخذت أتلفت حولي.. ناظرا إلى الموائد المعدنية المتناثرة.. حتى أتأكد من خلوها من الجثث.. أو الأطراف المبتورة..

وبالفعل لم تكن هناك أي أطراف أو جثث.. ولكن ما أفزعني هو العينات.. نعم العينات..



كرات عيون محفوظة في الفورمالين.. كف يد محفوظ أيضا.. قلوب.. كلى.. وكلها مصبوغة باللون البني.. لون الموت..

شهقت بهلع.. وتمالكت نفسي بصعوبة.. وتحولت قدماي.. إلى ما يشبه الهلام.. حتى إنني ظللت واقفا بصعوبة..

إن التنفس بالهواء المليء الفورمالين.. وخصوصا حينما يكون بهذه الكثافة.. يصيب بالدوار..

كان كل شيء يدعوني للعودة.. ولا داعي للمجازفة.. والحصول على ذكرى مروعة.. ستظل ملتصقة بالذاكرة إلى الأبد..

ولكن الفضول.. الذي قتل آلاف القطط.. كان له الفضل في..

لنتابع الأحداث..حتى لا نحرق القصة ..

اقتربت في خطا حثيثة.. من الثلاجة الضخمة.. المقسمة لأدراج كبيرة جرارة.. كالتوابيت..

ومددت يدي للمقبض.. فشعرت مباشرة.. ببرودة المقبض..واجتاحتني قشعريرة كالثلج..

إن الخوف كائن إخطبوطي.. ما إن يتمكن من المرء.. حتى يستولي على كيانه كله..بلا استثناء..

سحبت الدرج الجرار الضخم.. فصدر منه حفيف خفيف..وترني أكثر.. ولكني كنت مصمما على رؤية الجثة الراقدة بلا حراك.. التي لا تعرف ما سيطالها من عبث.. حينما تأتي جيوش الطلبة.. النهمة للعلم والمعرفة..

نظرت للملاءة..والتي اتخذت شكلا بشريا.. ومددت يدي المرتجفة من طرفها المتسخ.. وكنت أسحبها وكأنني أسحب معها روحي..

وهالني ما رأيت.. لم تكن الجثة ممزقة أو مشوهه..ولم تكن مصابة.. ولا أي شيء من هذه الأشياء.. التي نسجها خيالي المريض..

كانت فتاة من أجمل ما وقعت عيناي عليه.. ملاك نائم..كتلة من البراءة المتجسدة..

فينوس.. ترتدي قناع الموت.. والذي لم يترك على وجهها.. أكثر من نظرة زجاجية ساحرة..

رأيتها فنسيت المشرحة.. والعينات البشرية والفورمالين.. وسبحت في عالم خيالي.. لا يحتوي إلا ملامحها الملائكية.. التي لم أر مثيلا لها..

كانت ممددة أمامي.. صامتة.. لا حول لها ولا قوة.. ترتدي أسمالا بالية.. توحي بفقر مدقع..

وتعجبت بشدة من البطاقة المعلقة.. حول إبهام قدمها اليمنى.. فاقدة

الأهلية.. أي ليس لها أهل ليسألوا عنها.. ويتولوا دفنها..

ومثل هؤلاء الأشخاص.. إما أن يدفنوا في مقابر الصدقة.. أو تستولي عليهم كليات الطب.. وفينوس هذه كانت من نصيب الكلية.. ونصيبي.

لم أعشق أنثى في حياتي.. ولم تكن لدي فرصة للحب.. ولكن الحب لم يغادر قلبي قط.. وتمنيته بشدة.

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. وخاصة إذا كان من الطبقة المستورة.. التي لا يتبقي من دخلها.. ما يجعل الفاكهة صنفا رئيسيا..

ولكن القدر.. منحني الفرصة هذه المرة.. منحني فينوس

وأنا متأكد من أن جمالها.. لا يقل عن فينوس في شيء..

مجنون..

لا لست مجنونا..ولست معتوها.. ولكني عثرت على حبيبتي هنا.. في المشرحة الكئيبة الباردة..

جثة نعم وماذا في ذلك..؟؟؟

إنني لم أشعر بهذا الإحساس قط.. إلا معها..

أسمع البعض يعترض.. ويقول هذا تجديف وكفر لأنها جثة..

وماذا في هذا..؟؟!!

إنها الكيان الوحيد..الذي منحني ذلك الإحساس والشعور..

من فضلكم لا تنعتوها بالجثة.. إن لها اسما جميلا.. وهو فينوس..

إنها حبيبتي وسأعاملها كحبيبتي.. ولن آبه لكلامكم.. وليكن ما يكون..

ولا أقل.. من أن أحضر لها هدية..

نعم هدية..أليست حبيبتي.. وهذا أول لقاء..

نظرت لها بوله.. وأردت أن أقبلها.. لولا أني وجدت أن ذلك سيبدو مستهجنا.. لو تم في البداية..

مادا ستقول عني.. وقد تطاولت ومنحتها قبلة في أول لقاء..؟؟؟

قبلت يديها فقط.. وأظن أن هذا مسموح به.. أراه كثيرا في المنتزهات والحدائق والأفلام..

قبلات مختلسة.. تشعل وجه الحبيبة بالنار.. وترج الحبيب كزلزال من السعادة.. حتى ليصبح أقرب إلى الأطفال.. منه للناضجين..

اقتربت من أذنها.. وهمست لها بكلمات حب.. لطالما اختزنتها في قلبي..حتى أقابل حبيبتي..

كان الجو باردا.. وبدأت أشعر بالخمول.. والخدر يتسلل إلى جسدي..

فهمست في أذنها أني ذاهب إلى الخارج.. لعدة دقائق.. ثم سأعود..

نظرت للساعة.. وكانت قد تجاوزت الثامنة صباحا.. بقليل.. لقد مات الليل تماما.. وولد نهار جديد..

أغلقت الباب خلفي بإحكام.. ثم انصرفت مسرعا.. هابطا السلالم.. قفزا..

ثم عابرا لساحة الكلية.. عدوا..

لأصل إلى الشارع الرئيسي.. وغصت في طوفان البشر المندفع.. مع الرياح والأتربة الخريفية الغاضبة..حتى وصلت إلى متجر للملابس الجاهزة..

ورأيته هناك.. رداء وردي.. ذو حزام أسود.. يحيط بالخصر في انسيابية رائعة..

بالطبع لم أشتره.. لأن سعره بالنسبة لي كان فلكيا..

وتذكرت مقولة أحد أصدقائي..ذوي الخبرة.. والذي أخبرني..أن الهدية ليست بقيمتها المادية.. ولكن بقيمتها المعنوية..

أحصيت ما معي من نقود.. فوجدتها لا تكفي..إلا لشراء وشاح أسود..

فلم أتردد.. ونقدت البائع ثمنه..واندفعت كالصاروخ..عائدا إلى حبيبتي..

كانت كما تركتها.. ملاك يسبح في عوالم الحلم..بأجنحة من نور..

أحطتها بالوشاح..ثم أخذت يديها بين يدي بصعوبة.. حيث إنها كانت متيبسة.. فاكتفيت بأن أضع يدي فوق يديها..

كانت برودة المكان تزداد.. وأنا لا أشعر بها..حتى أصابتني نفس حالة الخدر السابقة.. ولكني قاومت..

كنت أريد أن أبقى بجوارها.. مدة أطول أبثها ولهي ولهفتي.. وأغمرها بحناني..

لكني لم أستطع أن أتحمل ألم البرد..

كانت الساعة تقترب من الخامسة مساء.. والليل قد دخل في طور الجنين..

فارقتها.. ولو فارقتني روحي لكان أفضل..

ثم دخلت إحدى الغرف.. والتي تستعمل كمكتب لأحد الإداريين.. وتمددت على الأريكة..

ولم أشعر بنفسي.. إلا وأنا أستيقظ في صباح اليوم التالي.. وحولي جمهرة من الطلبة.. وأستاذ التشريح.. وعمي خليل..

نظرت حولي دون وعي.. ثم قلت بلسان متلعثم..أين أنا..؟؟؟ أين فينوس..؟؟؟

تنفس الجميع الصعداء..وسمعت أصوات حمد وشكر.. ونظر لي عم خليل

معاتبا.. وقال كيف تفعل في نفسك هذا؟؟؟ أكنت تريد أن تموت من البرد..؟؟؟

لم أرد عليه..ونظر لي أستاذ التشريح محنقا.. ثم صرف الطلبة.. والمحيطين.. ولم يبق معي إلا عمي خليل..

الذي نظر لي بحنان الأب.. والذي أفتقده بشده وقال:

لولا ستر الله.. لكنت الآن جثة.. شبيهة بالتي ترقد في المشرحة..

كان ذكر الجثة.. ودفء الغطاء السميك الملتف حولي..

هو ما ساعدني على أن أعود لوعيي بسرعة.. وأسأل عن (فينوس)..

ولكن عم خليل هز رأسه.. دليلا على عدم الفهم وقال: أي فوكس يا بني أما زلت مريضا..؟؟

قلت له: الجثة التي أتت أمس..؟؟ جثة الفتاة..!!

قال وقد اتضح الأمر أمامه.. لقد أتت الجثة إلى هنا بطريق الخطأ..

وأهلها المساكين تتبعوها.. حتى أتوا إلى هنا وتسلموها..

اختنق صوتي.. وشحب وجهي.. وهطل الدمع من عيني..

فلما رأى عم خليل الدمع في عيني قال:

لا تخش شيئا على عهدتك..

لقد تسلم الأهل الجثة دون تعليق.. وإن كانوا تساءلوا عن سر الوشاح الجديد..

والذي لم تنزع عنه بعد بطاقة السعر..

إن عملك باق..

كنت مذهولا مصدوما.. أوشك على فقدان الوعي من جديد..

ولكني صمت.. وتركت دموعي تهطل بغزارة..

لعلها تطفئ نار الفراق..

فراق فينوس..



" حينما يأتي الموت "

الموت..

الموت ولا شيء آخر..

الموت هو الحل الوحيد..

لم يعد في هذه الدنيا أي شيء.. ممكن أن يحميني منهم..

كل الأموال التي جمعتها.. وكل المجهود الذي بذلته.. وكل الأخطار التي واجهتها..لم تعد ذات معنى..أو أهمية.. لا شيء يساوي راحة البال.. كما كان يقول الأقدمون..

إنني لم أحصل على أي قسط من النوم.. منذ ثلاثة أيام.. ولم يحظ جسدي بالراحة.. منذ عدة أسابيع.. إنني زرعت الموت.. وحصدت القلق.. والتوتر.. والإرهاق..

لقد كانت مهمتي هي سر تعاستي ولعنتي.. وهي التي أحالت حياتي.. إلى جحيم..

إن لقصتي بداية.. ولكنها ليست كأي بداية..

كانت البداية مجرد فكرة مجنونة.. غريبة.. قذرة..

نعم قذرة..

ماذا..!

إنه أقرب تعبير يمكن أن يعبر به المرء..عن كنه هذه الفكرة الشنيعة..

القتل..

ألم تفكروا يوما..في قتل شخص ما..

شخص ما..! نعم أي شخص..!!!

أن تقتلوا أي شخص..دون وجود أي ضغينة.. أو معرفة مسبقة.. أو مبرر..

فقط تقتل لمجرد القتل..

كالحب لمجرد الحب..

شيء عبثي.. ولكنه مثير..

القتل نشاط يمارس يوميا على مستوى العالم.. تارة هو جريمة.. وتارة هو واجب.. وتارة للمتعة..وتارة لمجرد قضاء الوقت..

كانت مجرد فكرة تساقطت على عقلي.. كما تتساقط الثلوج على قمم الجبال

القريبة.. بعنف وبكثافة..حتى غطت عقلي..كما غطت الثوج الجبال..

لم يكن هناك نداء علوي.. أو وحي سماوي.. هو ما دفعني للقتل..

فقط كان هناك دوي داخل عقلي.. وشعور بارد ينسل عبر عمودي الفقري..

ولم تجد الفكرة بعقلي أي رفض أو تردد..

وأصبحت الفكرة قرارا.. والقرار يحتاج إلى تنفيذ.. والتنفيذ يحتاج إلى إمكانيات.. وخطة جيدة أيضا..

ثم هناك الشخص الذي يجب أن أقتله..!!!؟؟

عجز تفكيري للحظات.. ثم توصل إلى أن وسيلة القتل.. هي التي ستحدد المكان.. والمكان هو الذي سيحدد الشخص..

إن قدري أن أقتل.. وقدره أن يموت..

فقط ليلقه حظه العاثر في طريقي.. وبعدها ليكن ما يكون..

سأقتله دون تردد.. سأطلق عليه الرصاص من بندقية جدي (كاربوف) العجوز.. التي استخدمها مرارا في الصيد.. ثم أتخلص منها في الجبال القريبة..

حينما رتبت الأمر.. أصبح أقل بشاعة..وقابلية للتطبيق..

سأحدد الآن المكان وبوسيلة قدرية..

فبين يدي الآن خريطة ورقية كاملة للبلدة..استطعت سرقتها من المكتبة القريبة من مبنى المدرسة.. وللعلم كانت هذه أول مرة أقدم فيها على سرقة شيء ما..

إن الأخطاء كالجراثيم.. تتوالد بسرعة مذهلة.. إذا ما توفرت لها البيئة المناسبة.. وأي بيئة أفضل من عقل مريض تسيطر عليه فكرة القتل..

قررت أن أحدد مركز البلدة.. بأن أقسمها بخطين متقاطعين.. وتكون نقطة التقاطع هي المكان المختار..

وكان الأمر موفقا.. إنه الطريق الخامس الخاص بالشاحنات.. والذي تفصله عن الهضبة هوة عميقة متوسطة الاتساع..

سيكون الأمر رائعا ومثيرا..

فمع مقتل السائق..ستنحرف الشاحنة عن مسارها..وتسقط في الهوة وتنفجر..

سيكون الأمر مثيرا.. وأكثر إثارة من قبلات (ناتاشا) الساحرة..

واتجهت للرزنامة المعلقة على الحائط.. واخترت الورقة رقم ثلاثة عشر..

وكان يوم الثلاثاء الرابع من الشهر القادم ..وهكذا رتبت لمهمتي الأولى..

إن النظام أساس كل شيء.. ولو رتبت لموتك بطريقة منظمة وهادئة..

ستحصل على عمل رائع..

فكرت في الأيام التالية..وأنا أشاهد الثلوج تغطي كل شيء.. وتراوغ الكاسحات.. التي ما إن تزل الثلوج عن مكان..حتى تغطيه من جديد..

فكرت في الملابس الملائمة لمثل هذه المناسبة.. إن لدي بذلتي الجديدة التي أهداها لي أبي.. حينما أنهيت عامي الثاني بمدرستي الثانوية منذ شهرين وبضعة أيام..

ولكن لونها الغامق.. سيجعلها كبقعة من الحبر.. فوق سطح الجليد المترامي..

إذا سأرتدي سروالي الأبيض.. ومعطفي الأبيض..وقلنسوة بيضاء.. وأتوارى وسط الجليد.. لأصبح كشبح أبيض.. وسط عالم فائق البياض..

ووقتها لن تراني إلا أعين خارقة.. وحسب علمي لا توجد مثل هذه الأعين في أي مكان قريب..

كنت أقضي صباحي في ممارسة تمرينات رياضية.. أعتقد أنها مفيدة وصحيحة.. وفي فترة الظهيرة أذهب إلى المكتبة لأحشو عقلي بالمزيد من القراءات.. عن التخطيط الاستراتيجي.. ونوعيات الأسلحة.. وطرق القتل المختلفة..

أشياء ستكون لها فائدة عظيمة في المستقبل.. مستقبلي..

إن الكتب نهر لا ينضب من المعرفة.. وكل شيء موجود فيها.. لمن يبحث ببعض الجهد..

هل انتهت أخيرا الأيام التي تفصلني عن إنهاء مهمتي المقدسة..؟؟؟!!

نعم انتهت.. وغدا اليوم الحاسم..

بالطبع لم أستطع النوم إلى أن جاء الصباح.. وكان صافيا برغم برودته الشديدة.. وكأن الطبيعة تبارك مهمتي الأولى المشؤومة..

ركبت دراجة الجليد.. وانطلقت بها نحو الطريق المغطى بطبقة رقيقة من الثلج.. والتي كانت تتناثر خلف الدراجة المنطلقة بسرعة معقولة.. كعادتي في قيادة الدراجة..

كان المكان يبعد عن أقرب مكان مأهول.. ما يقرب من ميلين.. قطعتهم الدراجة بسرعة معقولة.. إلى أن وصلت إلى الهضبة المطلة على الهوة.. واتخذت مكانا مناسبا يساعدني على التصويب والتخفي..

كان الجو باردا.. ولكن الإثارة كانت تمنحني طاقة.. ودفئا بلا حدود..

أخذت أبحث عن زاوية تصويب مناسبة.. وأخذت أكرر العملية عدة مرات إسجاء للوقت..

كان الوقت يمر بطيئا.. حثيثا.. وكأنه لا أمل في قدوم الشخص المرتقب..

لم أيأس..ولم تفتر عزيمتي.. وواصلت الانتظار..

وبعد مرور ساعتين على جلستي.. وقد بدأ الجو يتغير.. وينثر الثلوج من حولي.. ويشتد برودة..

لمحتها..!!!!!!!

في البدء كانت أضواء خافتة.. تلمع وسط دفقات الثلوج المتساقطة..

ثم بعد قليل بدأت تتضح أنها شاحنة ضخمة.. تسير الهوينى.. لتتجنب الانزلاق في مثل هذا الجو المنذر بالعاصفة..

كان سائقها الشاب يقودها بحذر.. وقد لف جنازير معدنية حول الإطارات..لتكون أكثر خشونة في تعاملها مع الجليد الزلق..

بالطبع تتساءلون عن كيفية رؤيتي للسائق.. برغم عدم وجود أعين خارقة في الجوار.. والجليد بدأ ينهمر بشدة..

الأمر ليس خارقا كما تتصورون.. ولكني أعرف هذه الشاحنة الضخمة جيدا.. وسائقها الشاب (يوري)..

إنه عريس اليوم..والذي سيعقد قرانه في الكنيسة..

كلنا كنا نعرفه.. ونعرف دماثة خلقه.. وخفة ظله..

اليوم كان سيحتفل بعقد قرانه.. واليوم كان سيكون أجمل أيام حياته..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه..

كنت أخشى في البداية أن أتعرف على من سأقتله.. ولكن المعرفة لم تصنع فارقا كبيرا لدي..

فبدلا من أن أدون في مذكراتي.. أن أول من قتلته هو مجهول.. سأكتب بكل فخر (يوري)..

لا تنعتوني بالقسوة أو بالحقارة..

فليس عقد قرانه هو المبرر.. الذي سيثنيني عن إنهاء المهمة..

يكفي أني سأمنحه موتا رائعا ..

فمن الرائع أن يموت المرء في أسعد أيام حياته..

هكذا تكون نهايته أفضل مما سيخطط لها.. كما أنها ستكون ميتة سريعة وأنيقة ..

فهو سيموت في أسعد يوم في حياته.. وهو يوم عقد قرانه..

كما انه سيموت في سيارته المفضلة ..

وأثناء أداء عمله الذي يعشقه..

إنها أمور جميلة ذات قيمة.. أي إن موته لن يكون عبثيا..

بعض لحظات من الألم.. ثم تأتي النهاية السريعة..

صدقوني.. إنه قدره.. وما أنا إلا أداة في يد القدر..

لو لم يكن قدره أن يموت.. لما قاد سيارته في مثل هذا الوقت.. ولما سقط الجليد بهذه الكثافة.. ليجعل سير الشاحنة بطيئا.. مما سهل عملية التصويب.. ولما نجحت عملية الصيد كلها..

لقد أحكمت التصويب على زجاج الشاحنة الجانبي..في المكان الذي من المتوقع أن تكون هناك رأسه..ثم..

أطلقت الرصاصة..

ومعها خفق قلبي بشدة..وعنف..

واضطربت الشاحنة.. وانزلقت.. ثم تماسكت..ثم انزلقت..حتى اصطدمت بحاجز الطريق المعدني.. وتوقفت..

كتمت أنفاسي طويلا.. وظللت أنظر إليها بذهول لعدة دقائق..

لم يتم الأمر كما خططت له تماما..

لم تهوي الشاحنة في الهوة العميقة..

يجب أن أتحرك حالا..

يجب أن أتم مهمتي قبل وصول أي فضولي.. أو وحدة إنقاذ..كما يجب أن

أتأكد من تنفيذ أول مهماتي.. على أكمل وجه..

ركبت دراجتي الجليدية.. واتخذت طريقا دائريا هابطا مختصرا.. لأصل بسرعة إلى بغيتي..

وبالفعل وصلت بسرعة متوسطة نسبيا.. وتلفت حولي لأستكشف الموقع.. وحينما تأكدت..من عدم وجود أعين متلصصة..

اقتربت بحذر من الشاحنة..ومددت يدي إلى بابها الآخر وفتحته..

وهالني ما رأيته..!

كان يوري يرقد هناك.. محشورا بين المقود والمقعد..وعنقه تنزف بغزارة.. وعيناه تدوران هنا وهناك..

وما إن رآني.. حتى رفع يده نحوي وقال بصوت مبحوح متحشرج: ساعدني إنني أمووت..

تجاوزت الموقف الصادم.. وسحبت بندقيتي من خلف ظهري.. وصوبتها إليه..

ورأيتها..

نظرة الخوف والفزع والذهول..

رأيتها..



فشعرت أنني الأقوى.. أنني الأعظم.. أنني المسيطر..

فالقتل.. يعطيك شعورا بأنك مسيطر على الحياة كلها.. بقبضة من حديد..

رأيتها فقلت: بل يجب أن تموت..

وأحكمت التصويب.. وأطلقت رصاصتي القريبة على رأسه..فتناثرت عظامه المختلطة بمخه في شكل منفر.. و

وأنهت كل الضوضاء..

وكدت أنصرف.. إلا أن فكرة أخري باغتتني..

إن الأمر سينكشف على أقصى تقدير في الصباح الباكر.. حينما تأتي الكاسحات لتزيل الثلوج المتراكمة على الطرق.. ووقتها سيجدون الشاحنة.. و (يوري) القتيل..

لذا من الأفضل أن أكمل السيناريو الذي رسمته..

عدت أنظر من جديد إلى كابينة السائق.. أبحث عن وسيلة تجعلها تنطلق إلى رحلتها النهائية..

ووقع عيني على فرامل اليد..والتي كانت مشدودة.. وهي بالتأكيد التي ساعدت يوري على إيقاف الشاحنة..

لذا فمع رفع فرامل اليد.. سيضغط ثقل الشاحنة على حاجز الطريق.. إلى

أن يحطمه ثم ستتهاوى..

وبالفعل تم الأمر كما خططت له..

وسقطت الشاحنة في الهاوية..

وغطتها الثلوج..

ولن تظهر قبل فترة طويلة جدا.. وقتها ستضيع كل الأدلة..وتسجل الواقعة ضد مجهول..

أتممت مهمتي.. فانطلقت بدراجتي..والتي أخفت الثلوج المنهمرة آثارها..

عدت للبيت.. وجلست أرتجف بجوار المدفأة العتيقة.. حتى استسلمت لنوم هادئ بلا كوابيس أو أحلام..

وفي الصباح وجدت نفسي ممددا في فراشي.. وبجواري جدي يجلس على مقعد خشبي غير مريح.. فأيقظته من نومه وسألته لماذا تنام على هذا المقعد..؟؟؟

فتح عينيه.. ثم نظر لي لوهلة دون رد فعل.. ثم جذبني إلى صدره وأخذ يقبلني.. ويحمد الله على نجاتي من الحمى التي لازمتني لمدة ثلاثة أيام..

تعجبت مما يقول ثم عادت لي ذاكرتي بغتة.. فاستدرت بعنف أبحث عن حقيبتي والبندقية.. ثم تذكرت أني ألقيت البندقية في الهوة وأخفيت

الحقيبة في المرآب..

جريمة كاملة.. وبلا شهود..

وببراءة تساءلت.. وأنا أنظر بطرف عيني لجدي.. وقلت: إذاً لقد فاتني عقد قران يوري وكلوديا..!!!؟

ظهر الضيق على ملامح جدي وهو يقول: إن يوري مفقود.. ولم نستطع الوصول إليه خلال الثلاثة أيام الفائتة.. ثم توقف وتابع.. مسكينة (كلوديا) إنها تكاد تموت قلقا وحزنا..

كادت ابتسامة تطفو على وجهي.. إلا أني وأدتها في مهدها..

واندسست في فراشي وأنا أقول لجدي: أريد بعض الحساء.. إنني جائع جدا..

فانصرف جدي مسرعا.. ليحضر لي بعض الحساء..

وغرقت أنا في أحلام اليقظة..حتى اليوم التالي..

كنت أشعر خلال الأيام التالية.. بنشوة عجيبة..

ثم غمرني الاكتئاب..

وبدأت أفكر في أبعاد جريمتي البشعة..

فيبدو أن الشيطان كان يلتبسني.. وأنا أؤديها..

لقد انحفرت نظرته الأخيرة في عقلي.. وبدأت تورثني الجنون..

تلك النظرة التي حفزتني في البداية.. هي التي قهرتني الآن..

إنني أريد أن أكفر عن خطيئتي..

لا أعرف كيف فعلت ذلك حقا..؟؟؟!!

لقد كانت نزوة شيطانية جعلتني أفقد كل سلامي النفسي.. بل جعلتني أحتقر ذاتي..

لم تواتني الجرأة أن أنتحر.. أو أقتل نفسي..

وقررت قرارا غريبا.. أن أكررها من جديد..

فقد استقرت نفسي.. على أن التعود والتكرار يجعل كل شيء روتينيا.. ويقتل الضمير..

ليس جنونا ما أفعله..

لقد كنت رحيما.. وأنا أنهي حياة كلوديا.. التي أظلمتها الأحزان..

لقد كنت رفيقا بها..

وكان خنجري حادا.. فلم تتألم.. وانتهت معاناتها في لحظات..

وتوالى الأمر..

سيرينا..



إيفان..

سيرجي..

عظيموف..

وكانت الكبوة..

كاتيا..

أغرقتها بعد تخديرها وألقيتها في النهر..

وبعد أن أتممت مهمتي المقدسة معها..

كان هناك شاهد لم أره.. مجرد طفل صغير.. قال لأمه إنه رآني..

ودارت الأخبار والشائعات ووصلت إلى (كولوف).. الذي راقبني حتى تأكد..

وهاهو أمامي.. وفي يده مسدسه الخاص..

كان (كولوف) جنديا سابقا في الجيش.. وقضى معظم مدته في الشيشان.. حتى أصيب وسرح من الجيش..

لذا فقد كانت خبرته مع التعذيب جهنمية.. واعترفت بكل شيء..

وجلست أدون كل شيء تحت تهديد سلاحه..

وها أنا ذا قد انتهيت..

وعرفت أنها لحظاتي الأخيرة.. في هذه الدنيا..

فأمامي كولوف الغاضب..

وبين يدي دليل إدانتي..

وعلى بعد سنتيمترات من جبهتي.. تقبع فوهة السلاح.. الذي سينهي حياتي..

لقد جاء الموت..

وحينما يأتي الموت..

لا يأتي شيء آخر خلفه..

لقد التصقت في عيني نفس النظرة.. التي كنت أراها في أعين ضحاياي..

وشعرت بنفس مشاعرهم..

ولكن كولوف أقدم على شيء عجيب..

لقد أفرغ سلاحه إلا من رصاصة واحدة فقط.

وأدار ساقيته ثم قال: سنلعب لعبه تدركها جيدا..

إنها لعبة الموت..

الروليت الروسي بالطبع تعلمها جيدا..

هززت رأسي وقلت: لم لا تنهي الأمر بطريقة أسرع..؟

قال: أنت لا تستحق الموت بسهولة.. كما إنني ارتكبت في الشيشان ما يخجل الشيطان من ذكره عن نفسه..

لذا سنمارس اللعبة كوسيلة للتطهير ومن تكون من نصيبه الرصاصة الأولى سيكون القدر قد اختاره وصفح عن الآخر..

ودارت رحى اللعبة.. ومعها دارت روحي في جسدي.. حتى كادت تخرج دون رصاصة..

لقد اقتربت من الموت عدة مرات..

ولكن الموت اختاره هو..

ونجوت من الموت.. وإن أصبح هو أمنيتي الأخيرة..

فهم في كل مكان حولي..

أشباحهم تلعنني..

وذووهم القريبون مني.. يدعون علي أمامي.. على أن أتلوى في سقر..

وأنا أشاركهم أحزانهم.. التي أصنعها بيدي..

ولكن الأمر لم يعد مطاقا..

إنني أموت كل يوم ألف مرة..

نظراتهم.. تطاردني..

أشباحهم.. تطاردني..

إنني ملعون..

أستطيع أن أقتل كل يوم ألفا..

ولكني لا أستطيع أن أقتل نفسي..

إنهم حولي..

إنهم في كل مكان..

فمتي يأتي الموت..؟؟

متي..؟؟



" مباريات الموت "

السماء مليئة بالسحب الذرية القاتمة.. والشمس في رحلتها اللانهائية.. تحتضر معلنة نهاية يوم جديد..

وأنا ومن تبقى معي من بشر.. نشكر الله على مرور اليوم.. وبقائنا أحياء.. رغم هذا الجحيم الذي نعيش فيه..

لقد انتهت الحرب العالمية الثالثة.. وأبيد البشر إلا مجموعات قلائل..

كل شي قد انتهى.. الحرب.. والنباتات..والحيوانات.. ومليارات من البشر..

كل شيء لم يعد كما كان..

لم ينج مكان واحد من الإشعاع.. أو الغبار الذري ..

سطح الأرض لا يمكن الحياة عليه.. قبل عشرات السنين..

الموت يتربص بالبشر.. بعد أن حصد بمنجله مليارات الأرواح..

لقد استخدم البشر.. في الحرب الأخيرة.. كل سلاح اخترعوه..

كل القذارات التي أنجبتها عقول البشر.. استخدمت في هذه الحرب الملعونة..

والنتيجة.. هي كوكب مقفر خال من الحياة.. إلا جحورا قليلة.. يسكنها بضعة آلاف من البشر..

أصبح البشر في المخابئ النووية.. يعيشون كالفئران.. بل أحقر من الفئران..

وكعادة البشر.. في سعيهم المميت..نحو السيطرة.. استخدم كل من لديه القوة.. أو السلاح قوته وسلاحه..

وحدثت مجازر رهيبة..بداخل المخابئ النووية.. وحصد الموت أرواحا جديدة..

تحولت المخابئ النووية.. إلى ما يشبه القرى البدائية.. وانتشرت العصابات المسلحة.. لتنشر الرعب والخوف في كل مكان..

وعادت عقول البشر إلى العصور المظلمة.. وعادت الحواس لتطور من جديد.. وخاصة حاسة الشعور بالخطر..

ورغم كل حسابات علماء ما قبل الحرب.. أخذ مخزون الغذاء في التناقص التدريجي.. نتيجة السرقات الهائلة التي كانت تحدث.. وسوء التوزيع.. وتلف كميات ضخمة.. مما كان مخزنا.. نتيجة الإهمال.. وأصبح الغذاء

شحيحا.. وعلى وشك النضوب..

ووسط كل هذا الجحيم.. لم يجد البشر من تسلية.. إلا في القتل..

وأصبح اختطاف البشر.. نشاطا عاديا ويوميا..

وبدأت مباريات الموت..

وكنت أنا.. ومجموعة من تعساء الحظ.. نوي المستقبل المظلم.. مسجونين في قفص حديدي.. أشبه بالحيوانات الضارية.. بانتظار دورنا في المذبحة القادمة..

وككل شيء آخر.. كانت للمباريات قوانين صارمة.. رغم خلو هذا العالم من القوانين التي تحكمه.. ما عدا قانون القوة..

القانون الأول: القتال حتى الموت.. لا يوجد مهزوم ولكن يوجد ميت..

القانون الثاني: لكل مقاتل سلاح واحد.. يستخدمه في كل مباراة..

القانون الثالث: كل من يقتل ثلاثة من المقاتلين.. يصبح حرا..

القانون الرابع: لا فرق بين النساء والرجال.. الكل سواء أمام الموت..

القانون الخامس: إذا رفض المنتصر قتل المغلوب.. يموت الاثنان حرقا..

وكم كنا ننتظر بلهفة نهاية المباريات.. التي لا نكون أطرافا فيها.. حتى

نلتهم الطعام الطازج الشهي..

أولم أخبركم بنوعية الطعام.. إلى الآن.. إنه اللحم.. اللحم البشري.. لحم من يموتون في المباريات..

لقد انتشرت عادة أكل اللحم البشري.. بمجرد نفاد مخزون الطعام.. ولم يعد هناك مصدر للغذاء إلا البشر.. وكان ما كان..

ولا أخفي عليكم.. أن اللحم يصبح ألذ.. حينما يكون محترقا.. كما حدث مع الأب وابنه..الذين رفضوا أن يقتلوا بعضهم منذ عدة أيام.. في إحدى مباريات الموت الملعونة.. وأحرقوهم أحياء.. بعد أن أذاقوهم من التعذيب.. ما لا يحتمله بشر..

مر اليوم.. واليوم الذي يليه.. وفي اليوم الثالث.. حدث الاختيار.. كنت أنا.. وامرأة شرسة عنيفة.. ذات عيون جاحظة مثل المجانين..

كنت أخشاها كثيرا.. فهي مثلي قد صرعت مقاتلين.. في مباراتين سابقتين.. وإن كنت لا أعرف.. إن كانت تسعى نحو الحرية.. أم أن القتل أصبح غريزة بداخلها.. ومتعة تمارسها..

كنا جميعا نخشاها.. فهي لا تخشى الموت.. ولا تشتهي الحياة..

كانت رثة الثياب.. سيئة الرائحة.. حادة الأسنان.. عنيفة إلى درجة

مخيفة..

إن المعركة بيننا.. كانت جحيما.. لم نستخدم أيا من الأسلحة.. التي عرضوها علينا.. كانت قبضاتنا.. وأظفارنا..وأسناننا..هي الأسلحة.. وصراخ المشاهدين المتعطشين للدماء.. كان الوقود الذي يذكي.. جمرة المعركة..

تبادلنا في البدء اللكمات.. كانت قبضتها تشبه المطرقة.. كانت بقوة رجلين مجتمعين.. ولكني لم أكن ضعيفا أيضا.. والدليل على ذلك.. أني ما زلت على قيد الحياة .. لقد أوسعتها ضربا حتى سقطت على الأرض.. مضرجة في دمائها تسيل الدماء من كل مكان في وجهها..ولكنها لم تستسلم بسهولة.. وأنشبت أسنانها في قدمي..منتزعة قطعة من جلد الساق.. أخذت تلوكها في فمها.. وهي تضحك ضحكة لا تصدر إلا عن مجنون فقد عقله بالكامل.. ركلتها بساقي السليمة في وجهها.. ثم صعدت بجسدي فوقها.. وأخذت أسدد اللكمات.. تلو اللكمات إلى وجهها.. ثم غرست أظفاري في عينها وفقأتهم..ثم اقتلعتهم.. والتهمتم..والجماهير حولي.. تكاد تفقد وعيها من الإثارة..

كانت هتافات الجماهير تزيد من حماستي.. واقترابي من الحرية يلهب شراستي.. كانت تلك المتوحشة تصرخ.. وهي تضع يديها على تجويف

عينها المقلوعة.. وتموء من الألم.. مثل القطة التي تحتضر..

اقتربت منها.. وجذبتها من شعرها..وهي تحاول الوصول إلى بمخالبها..ولكني جذبتها بكل عنف من شعرها.. وأخذت أضرب رأسها.. في جانب القفص الحديدي.. الذي تقام فيه المباريات القاتلة.. حتى تهشمت جمجمتها تماما..وسالت دماؤها ومخها المسحوق على الأرض..

ومددت إصبعي في داخل رأسها المحطم.. ثم لعقته.. وأنا أنظر للجماهير نظرة المنتصر.. وهم في حالة سكر.. من مقدار العنف الذي شاهدوه..

وانصرفت إلى زنزانتي.. وأنا أجر جثتها من خلفي بلا مبالاة.. ثم ألقيت جثتها الغارقة في الدماء.. في منتصف الزنزانة.. ونظر لها تعساء الحظ الموجودون خلف القضبان.. وكل منهم يتصور مصيره القادم..

ولكن الجوع غلبهم.. فانقضوا على الجثة ليفتكوا بها..وأنا أنظر لهم.. دون أن أشاركهم التهام الجثة.. فبعد ساعات قليلة سأكون بالخارج..أبحث عن غذائي.. وفريستي.. وقد أموت في اليوم التالي لخروجي.. ولكن ذلك سيكون أفضل من أن أعرف موعد موتي.. وساعة تحولي للوجبة التالية.. لرفاقي في الزنزانة..

وحين انفض الجمع.. وكما هي التقاليد الصارمة.. وشموا لي وشم الثعبان المجنح.. وهذا الرسم بمثابة بطاقة الحرية الأبدية لي.. فلن أمر بذلك

الموقف مرة ثانية.. وعرضوا علي أن أنضم للعصابة كما تقضي القوانين..

ووافقت على الفور.. وانضممت إلى العصابة التي اختطفتني يوما.. وعملت معهم في اصطياد الفرائس البشرية للمباريات.. وكان إجباريا على كل فرد.. من الأفراد حديثي الانضمام إلى هذه العصابة.. أن يعمل في المطبخ لمدة يوم أسبوعيا..

وكان عملي..هو تقطيع وإعداد الوجبات البشرية.. التي كان يأخذها زميل لي.. كي يعمل على طهوها..لتكون أسهل في التناول..

وكان واضحا أن مباريات الموت.. رائجة..

فلم تقل الوجبات التي أعدها.. عن خمس وجبات..يوميا ..

كان عملي رائعا.. يوفر لي الطعام والحماية..

ولكن ما عكر صفو أيامي هذه..

هي الأخبار.. عن بدء انتشار الوباء القاتل..

في المخبأ النووي..

° ° °

وبعد عدة شهور..

عاد الموت.. ليحصد آخر فرائسه البشرية..

ليعلن فناء جنس.. أفناه سعيه الدائم للقوة..

فناء الجنس البشري..



" الرقص مع الشيطان "

أول انتصار للشيطان علينا.. أن يقنعنا بأنه غير موجود..

أن نغوص في مستنقع الآثام.. وضميرنا مستريح..

أن نرى الهاوية.. ونسقط فيها دون أن نشعر بالذنب..

إن الشيطان ضعيف.. ولكن إصراره هو الذي يمنحه القوة..

من أجل أن نهزم الشيطان.. يجب أن نؤمن بوجوده.. ونقاتله..

ولكننا اليوم.. سنستمع إلى حكاية.. تدور فصولها كل يوم حولنا.. ستناقش حكايتنا نوعا مختلفا من الرعب..

العقاب الدنيوي.. الذي يصيبنا.. ولا نستفيق منه.. إلا بعد أن ينهار كل شيء.. وينتهي كل شيء..

وتبدأ قصتنا.. بداية غريبة.. فنحن الآن في أحد النوادي الليلية.. المنتشرة في كل مكان.. والتي أصبحت شيئا عادي.. لا يلفت الانتباه..

فكثرة أماكن الفساد هذه.. واعتياد أعيننا على رؤيتها.. جعلتها من الأشياء

الطبيعية..بل الروتينية للعديدين..

وفي ذلك النادي الليلي الراقي.. ورقيه هذا ليس معتمدا على نوعيات زائريه فقط.. ولكن بسبب البذخ في الإنفاق على ديكوراته.. وبرامجه المتنوعة..

إنه المكان.. الذي صنعه البشر.. لسيدهم الشيطان.. من أجل أن يقدموا أنفسهم قرابين له..

فحينما تقترب من الباب الخارجي المعتم.. تجد اثنين من الرجال ضخام الجثة.. يقفان حارسين للمكان.. وما إن تقترب من الباب.. حتى يفتح تلقائيا.. وتدخل إلى ممر قصير يقود إلى باب زجاجي آخر.. يفتح تلقائيا أيضا.. وتصدمك.. موسيقى الهارد روك العالية.. وتخطف بصرك.. أضواء الليزر.. المتناثرة باحتراف.. في أرجاء المكان .. وتصدم عينيك.. أعداد الشباب والشابات الذين يتلوون.. في ساحة الرقص.. وكأنهم يرقصون على سطح مشتعل..

والشيء الأغرب.. أن هناك أعدادا ضخمة.. من المراهقين.. الذين لم يتجاوزوا السن القانونية.. لدخول مثل هذه الأماكن.. ولكن النقود تفعل الكثير..

والكثير جدا..

وفي هذا المكان الموبوء.. وفي ركن قصي.. جلس (حاتم) و(وليد) و(عاصم).. ثلاثة شباب تبدو عليهم علامات الثراء.. على منضدة مستديرة.. ممتلئة بزجاجات الخمر.. والكثير من المقبلات.. والزجاجات الفارغة..

كانت نظراتهم خاوية.. وضحكاتهم بلا طعم.. كانوا يحاولون إقناع أنفسهم بالسعادة.. والمرح.. ولكنه كان سيناريو مكررا..

فكل يوم.. نفس المشهد.. تضاف إليه أو تحذف منه.. بعض الساقطات..

كانت الوجوه متشابهة.. والأحاسيس متباينة.. ولكن وجه وليد.. كان يصرخ بالألم.. وهو يعب من زجاجة خمر قد شارفت على الانتهاء.. في محاولة للسيطرة على آلام جسده.. والتي تتزايد مع مرور الوقت.. نتيجة نقص المخدر الذي يتعاطاه..

جز وليد على أسنانه وهو يوجه الحديث إلى صديقيه وقال: لم تأخر هذا الغبي فؤاد ؟!.. إن الألم يكاد يقتلني..

قال حاتم: تشجع يا وليد.. وحاول أن تتحمل فإنها المرة الأولى التي يتأخر فيها فؤاد عنا.. من الممكن ألا يكون الطريق آمنا.. فآثر أن يتأخر قليلا..

قال وليد: وهو يشرب جرعة أخرى من الخمر.. لا أعرف كيف لم أنتبه

إلى قرب انتهاء المخدر.. لا أعرف ما يحدث لي هذه الأيام.. إن جسدي يكاد يتفتت من الألم..

وبدأت عيناه تذرف الدموع.. بطريقة لا إرادية.. ولم ينقذه.. إلا وصول فؤاد بثيابه الرثة.. و أسنانه الصفراء.. والنظارة الطبية السميكة.. التي تغطي عينين أنهكها الإدمان..

والذي ألقى بنفسه على أقرب كرسي.. وهو يقول: يا إلهي.. كادت الشرطة تقبض علي.. لولا أن تنبهت على آخر لحظة.. لقد كان كمينا يبدو أن أحدا وشى بي و..

قاطعه وليد وهو يقول: اللعنة عليك.. وعلى الشرطة.. أعطني المخدر اللعين..

مد فؤاد يده.. إلى جيب داخلي في سترته.. وقال: هاهو ولكن السعر تضاعف.. إن الصنف هذه المرة مختلف.. والمخاطرة أعلى..

اختطف وليد اللفافة.. وسكب المسحوق الأبيض.. من الكيس الورقي على يديه.. ثم استنشق المخدر في نشوة وأمسك رأسه بيده.. واحمرت عيناه.. وأخذ جسده في الارتعاش.. ثم السكون..

وبدأ المخدر يسري في جسده.. وبعد مرور ثوان قليلة.. أطلق ضحكة

عالية.. ثم قال:

أحسنت يا فؤاد.. إن الصنف هذه المرة جيد.. وغير مخلوط.. مثل المرة السابقة.. ثم مد يده في جيب سترته.. وأخرج رزمة من المال.. ألقاها إلى فؤاد.. الذي تلقفها كما يتلقف الكلب.. عظمة ألقاها له سيده..

وأخذ المخدر يدور عليهم.. دورته المميتة.. حتى انتشوا جميعا.. وغاب وعيهم.. واستسلموا لشيطان المخدر..

اندفعوا جميعا.. إلى حلبة الرقص.. وغرقوا في دوامة الموسيقى العنيفة.. وتلووا.. واهتزوا.. ورقصوا.. وشاركهم العديد.. في الهذيان الدائر.. حتى تعبوا.. فانسحبوا إلى مقاعدهم.. وأخذوا يحتسون الخمر من جديد..

شباب غافل.. يحرق شمعة حياته.. وصحته.. من طرفيها..

كانوا غارقين في فجورهم.. وعيونهم.. تتابع الفتيات الراقصات.. غير المحتشمات.. اللاتي يلبسن ملابس.. أقل ما يقال عنها إنها فاضحة.. ويضعن مساحيق تجميل ثقيلة .. تقتل براءتهم..

كان المكان كله.. يعج برائحة.. الخطيئة.. والمعصية..

وعلى منضدة مقابلة.. جلست مجموعة من الفتيات.. المتبرجات.. بملابسهن.. التي تكشف أكثر مما تداري.. كن يضحكن ضحكات ماجنة..

ويقمن بحركات تنافي كونهم نساء..

وكما يجذب العسل الذباب.. تجذب النفايات أيضا الذباب..

أشار حاتم لهن.. بكأسه المليء بالخمر.. فأجابت إحداهن بضحكة ماجنة.. وهي تهز رأسها.. ثم تتشاور مع زميلاتها.. وينضممن على الفور إلى منضدة الشباب.. وتدور حوارات تافهة.. تتخللها عبارات مشينة.. وتدور كؤوس الخمر دورة مميتة أطول..

استمرت الحوارات.. والرقصات.. حتى ساعات الصباح الأولى..

وحينما حان موعد الإغلاق.. قال حاتم لأصدقائه ورفيقاته.. لنكمل السهرة عندي في البيت..

وهلل الجميع.. وانطلقوا في سيارتين.. نحو فيلا حاتم.. وهم يتبادلون النكات والبذاءات..

وأثناء الطريق.. اتفقوا مع الساقطات على الثمن.. وضحك الشيطان.. ضحكة انتصار..

واشتعلت عين الشيطان.. ببريق ناري..

جعل الليلة حمراء..



ooo

بعد شهور على هذا الحدث المشين.. وإن تكرر للأسف عدة مرات متتالية.. تأكيدا على السطحية.. والتفاهة.. والخواء النفسي.. لهؤلاء الشباب.. والذي يجعلك تتساءل.. أين آباؤهم و أمهاتم في خضم ما يحدث.. ؟

إنهم خارج الصورة تماما..

حتى طيفهم غير موجود.. ليدفع الحياة للاستمرار.. على النحو الصحيح..

أقول إنه بعد شهور على الحدث المشين.. انطلق الرنين الموسيقي.. للهاتف الجوال.. الخاص بـ (وليد) عدة مرات مما أجبره على الاستيقاظ.. ونظر للساعة الضخمة المعلقة على الحائط. والتي تظهر الوقت والتاريخ بشكل رقمي براق.. لتعلن أن الساعة الواحدة ظهرا ..

قال (وليد) بصوت مختنق.. غير واضح.. بسبب استيقاظه بهذه الطريقة المزعجة.. وبعد أن قرأ اسم (فؤاد) على شاشة الهاتف الجوال المضيئة..

وقال: ماذا تريد في هذه الساعة أيها الغبي..؟

ابتلع (فؤاد) الإهانة.. وقال بصوت متلعثم : اعذرني يا (وليد) بك.. ولكني عندي ظروف طارئة.. وسأضطر للتغيب لمدة شهر كامل.. وكنت أريد أن أزودك بالمخ.. وقطع الكلمة.. وهو يخشى أن يكون الهاتف

مراقبا.. وقال أريد أن أزودك ببضاعة كافية.. حتى أعود.. لكي لا تضطر للبحث عن شخص آخر..

قال (وليد) وصوته بدأ يصفو : أين أنت ذاهب أيها الغبي..؟

ولم لا تجلب البضاعة إلى المنزل..؟ وتأخذ حسابها وتذهب للجحيم..

قال (فؤاد): ظروف يا وليد بك.. ظروف..

وهذه الظروف ستجبرني.. على أن أطلب منك أن تحضر بنفسك النقود.. وتأتي لتسلم البضاعة..

زفر وليد في حنق.. ولكنه فكر في أنه لا يمكن أن يستغني عن المخدر.. وفي داخله شكر (فؤاد) على اتصاله.. إلا أنه قال بصرامة: أين أقابلك.. و متى.. ؟

قال (وليد) بعد ساعة واحدة أمام..ووصف له العنوان بدقة.. وأغلق (وليد) الهاتف..

ثم قام.. وارتدى ملابس الليلة الماضية على عجل.. وصفف شعره كيفما اتفق.. وانطلق إلى السيارة لينطلق بها في تهور.. ليصل إلى ذلك المكان.. في وسط البلد داخل محل شهير للدجاج المقلي.. وأعطاه النقود.. وتسلم المخدر وعاد بالسيارة إلى نفس الطريق.. و فوجئ أثناء العودة.. بحادث يغلق

الطريق..

فانسل من طريق جانبي ضيق.. يصب إلى شارع رئيسي آخر.. وهو يهنئ نفسه على المهارة الشديدة .. لاستطاعته تفادي الطريق المغلق..

إلي أن فوجئ بالطريق الرئيسي الآخر يغلق.. وتسير السيارات فيه.. ببطء شديد.. ورفع رأسه من الزجاج الجانبي.. ليفاجأ بأن سيارتي شرطة.. تغلقان الطريق.. ويقوم ضباط الشرطة بإيقاف السيارات.. والاستفسار عن هوية صاحبها.. ورخصة السيارة.. بل و يقومون بتفتيش من يشتبهون به..

وأسقط في يده.. كان يجب أن يعثر على وسيلة سريعة.. للتخلص من المخدر.. فهو لسوء الحظ.. لم يحضر رخصته.. أو هويته الشخصية .. عندما نزل مسرعا.. ليلحق (بفؤاد) اللعين..

كانت سيارته.. بينها وبين الكمين سيارة أخري.. فلم يجد حلا إلا أن يلقي بالمخدر.. أسفل سيارته.. واكتمالا لسوء الحظ.. لمحه الشرطي.. الذي كان يعيد هوية السائق الذي قبله ..

فألقاها لصاحبها.. ثم أخرج مسدسه.. وصوبه إلى (وليد).. ونادى على مساعديه الذين أحاطوا بالسيارة .. وأخرجوا كيس المسحوق المخدر من أسفل السيارة..

ثم اقتادوه.. وهو في ذهول تام.. إلى قسم الشرطة.. وهناك كانت المفاجأة للجميع..

فـ (وليد).. ابن السياسي ورجل الأعمال الكبير (نظيم فخري).. الرجل الإخطبوط.. كما يطلقون عليه في كل مكان..

انه صاحب القوة.. والنفوذ.. واليد الباطشة..

إلا أن هذا لم يفت في عضد الشرطي النوباتجي.. ورغم تحذير أصدقائه إلا أنه سجل محضرا بالواقعة.. في تحد عجيب..

وألقاه في زنزانة انفرادية..

ولم يسمح له إلا بالمكالمة الوحيدة.. التي أجراها لوالده..

كان الضابط النوباتجي.. نموذجا لرجل الشارع المطحون.. كان يرى كل شيء.. عبر منظار واحد فقط.. الفقر والغنى..

كان يشفق على كل فقير.. ولكن لا يساعده.. فهو في حاجة للمساعدة.. أكثر من أي فرد آخر.. وكان يحقد على الأغنياء المستهترين.. الذين كانوا يملكون كل شيء.. ويشترون كل شيء.. حتى الضمائر..

كان ما فعله مع وليد.. جزءا من مسلسل الثأر.. الذي يتنامى بداخله.. مثله مثل أي فرد آخر.. في ظروفه وموقعه..

كان يستغل سلطة القانون.. ويده الباطشة.. في تحقيق انتقامه.. من هذه الفئة التي تستولي على كل شيء في مجتمعه.. حتى لتكاد تستولي على الهواء الذي يتنفسه..

لقد ترك وليد.. يجري مكالمته الهاتفية بوالده السياسي الثري.. ثم طبق بعد ذلك كل الاجراءات القانونية.. بل وإمعانا في الإذلال.. وضعه في الحبس الانفرادي..

وجلس على مكتبه.. يدخن سيجارة محلية الصنع.. في نشوة..

كان النصر الذي حققه منذ دقائق قليلة.. يصم أذنيه عن تحذيرات زملائه.. وعن مستقبله.. الذي سيضيع على يد (نظيم فخري) الإخطبوط..

وبعد مرور ساعة تقريبا.. وقفت سيارة فارهة.. أمام باب القسم.. تصاحبها سيارتان من نوع الجيب.. تحتوي على عدد كبير من الحرس الشخصي..

ومن السيارة الفارهة.. هبط (نظيم فخري) بجسده الممتلئ.. وبذلته الأنيقه.. والسيجار الذي قلما يفارقه..

وفي نفس التوقيت.. توقفت سيارة مسؤول كبير.. من وزارة الداخلية.. أمام باب القسم..

ودخل الجميع القسم كمظاهرة حاشدة..

وفوجئ الضابط النوبتجي.. بتلك المجموعة الضخمة.. من البشر بادي النفوذ..

وانكمش في نفسه.. وأخذ يتضاءل.. ويتضاءل.. وهو يسمع حديث المسؤول..

وبيده.. مزق الأوراق الرسمية..

والدمعة تكاد تفر من عينه..

وأخرج وليد.. من الحبس الانفرادي..

وحينما انصرفوا جميعا.. وبعد أن وبخ أمام الجميع.. من قبل الإخطبوط..

جلس وحيدا في مكتبه.. الذي أغلقه على نفسه.. وتركها تهبط على خده.. دمعة.. حزينة.. من قلب كسير.. سحقه الطغيان..

وفي سيارته.. جلس الإخطبوط.. جامد الوجه.. ثائر العقل.. يفكر فيما حدث لابنه.. وكيف أن إهماله له.. والحرية الزائدة التي منحه إياها.. دفعته لطريق الإدمان..

إلا انه كعادته.. فكر في قوته.. ونفوذه.. وثروته.. وجالت بعقله فكرة واحدة..

أنه الأقوى..

وكما تغلب على القانون.. بنفوذه.. وثروته.. فإنه سيعالج ابنه في أكبر المصحات.. وسيخرجه من إدمانه للمخدرات.. سيكون فوق الجميع.. ولن يخضع هو وابنه إلى أحد..

أغمض عينيه.. وقال نعم.. سينجو ابنه الوحيد من فخ المخدرات.. لن يتخلى عنه.. كما أهمله بعد وفاة والدته..

كان يتحدث مع نفسه.. وهو مغلق العينين كعادته الدائمة.. حينما تنبع أمامه مشكلة..

كان يتساءل بأعماق نفسه.. كيف سقط ابنه في هذا الفخ الشيطاني..

إنه يتاجر في المخدرات.. منذ ربع قرن.. دون أن يقربها..

إنه ينظر لمتعاطيها على أنهم عبيد وأغبياء..

كيف تحول ابنه لأحدهم..

وجز على أسنانه.. وردد داخل نفسه..

لن ينتصر أحد على نظيم فخري.. حتى ولو كان غول الإدمان..

وعاد يبتسم.. وهو يتذكر صورة ذلك الضابط النوبتجي..

وهو يتضاءل..

وينكمش..

ويرتجف أمام كلماته..

لقد انتصر بحق على القانون..

وبقيت معركة أخيرة.. سيخوضها مع ابنه..

وسيكسبها..

بكل تأكيد سيكسبها..

ويحوز النصر..

كعادته دائما..

وانطلقت ضحكته عالية..

° ° °

انطلقت الطائرة الخاصة.. التي يمتلكها الإخطبوط.. نحو مصحة عالمية شهيرة.. لمعالجة الإدمان.. بإحدى الدول الأوروبية..

واستقبل طاقم العمل.. وليد.. بحفاوة.. نظرا لشهرة أبيه التي تسبقه..

وسارعوا في بدء البرنامج التأهيلي..

فالإخطبوط.. ينفق في بذخ شديد.. يريد أن يقهر المرض.. كما قهر القانون..

وكإجراءات اعتيادية.. أخذوا من وليد.. عينات من كل شيء..

وبدأت الفحوصات..

وبدأ ملفه العلاجي يتكون..

وكان رأي الأطباء الأولي.. أنه لا مشكلة هناك في علاجه.. و حتى استكمال التحاليل..

وتم قبوله في المصحة..

وفي اليوم التالي طلب الطبيب.. سرعة استكمال تحاليل الدم..

وكم كانت المفاجأة المروعة..

فوليد مصاب.. بمرض فقدان المناعة المكتسبة..

المرض الوحيد الذي ليس له علاج..حتى الآن..

إنه مرض الإيدز..

وكم كانت صدمة وليد عنيفة.. وهو يسترجع لياليه الحمراء..

والمحقنات الملوثة.. التي كانوا يستخدمونها.. أثناء تعاطي المخدرات المتنوعة..

وأخذ يبكي.. وينوح كالأطفال..

والصدمة الأشد كانت لوالده.. الذي هده الخبر الشنيع.. وألزمه الفراش..

فابنه الوحيد..

فلذة كبده..

مصاب بهذا المرض اللعين..

وسيظل يتعذب به.. حتى يموت..

لقد انتصر الإخطبوط.. على قانون البشر..

ونسي أو تناسى.. أن هناك قانونا آخر..

فوق كل ذلك..

القانون الإلهي..

فالخالق عز وجل..

يمهل ولا يهمل..

و..

كما تدين تدان..

" فيلم رعب "

(ستيفن) وجولي و(رالف) و(روني) و (كاثرين) التي يطلقون عليها اسم (كاتي) خمسة من أصدقاء الطفولة وهم الآن على أعتاب سن المراهقة كانوا مجموعة من الأصدقاء وكان يجمعهم جميعا شيء واحد وهو عشق الرعب حتى الموت..

فكم من كتب سحر قرؤوها ..

وكم من بيوت مهجورة دخلوها ..

وكم من تجربة مميتة كادت تودي بحياتهم مارسوها ..

وكم من فيلم رعب قد شاهدوه.. وكم من حيوان ضال مزقوه وهم يمثلون به حيا كما كانوا يرون في الأفلام الدموية ..

وفي يوم ما تجمعوا جميعا وقد أصابهم الملل بعد أن قاموا بكل شيء مرعب ممكن وجلسوا جميعا صامتين وهم يتساءلوا بداخلهم عما يمكن أن يفعلوه دون تكرار أو ملل ويكون مرعبا حتى الموت..

كانوا جميعا يفكرون ويفكرون وعقولهم تشتعل من كثرة التفكير ..

حتى فاجأتهم (جولي) ونظرة عابثة تنطلق من عينها قائلة:

لنصنع فيلم رعب خاصا بنا و..

قاطعها (روني) قائلا: ولكننا مثلنا جميع أفلام الرعب وسجلناها بكاميرا (رالف) الرقمية حتى فيلم مصاص الدماء في المحكمة..

قاطعته جولي وهي تضحك ضحكة خبيثة شريرة :

لا، ما أقوله أن نصنع فلم رعب حقيقيا بضحية حقيقية ودماء حقيقية وأشلاء حقيقية..

وجم الجميع من الصدمة للحظات ثم انطلقوا جميعا يهتفون في صوت واحد:

واو..إنها فكرة رائعة..رائعة بحق..

ولكن (كاتي) قاطعت الجميع وقالت وهي تتحدث بغموض وتعبث بيدها في خصلة نافرة من شعرها و تتساءل:

ترى من يكون الضحية؟؟!!

وساد الصمت من جديد..

واخذ كل منهم يعرض فكرته ف (جاري) فتي ضخم تصعب السيطرة عليه

و(داني) مشهور بأنه لاعب كونج فو ماهر ..

و(مايكل) دوما يسير بصحبة أخويه ولا طريقة لاستدراجه..

كان كل منهم يذكر شخصا يكرهه بشدة..

شخصا آذاه في يوم من الأيام لدرجة يتمنى معها أن يمزق جثته قطعا ويلقيها للكلاب ..

وعادت من جديد ((كاتي)) لتسألهم: ولماذا تكون الضحية فتى يصعب السيطرة عليه لم لا تكون فتاة؟

وعلى الفور انطلقت هتافات الاستحسان وفي رؤوسهم تكون اسم واحد فقط ((سالي)) تلك الفتاة القاسية المغرورة التي أذاقتهم وشلتها الهوان طوال العام في المدرسة ..

رحب الجميع بالفكرة والاختيار ووقف (ستيفن) يردد بجشع (سالي) نعم..نعم ..

وتفرقوا جميعا واتفقوا على الاجتماع مساءا لمناقشة الفكرة وكيفية تنفيذها وانطلقوا إلى منازلهم..

أتى المساء وصعد القمر المنير إلى قبة السماء وانعكست أضواؤه على سطح البحيرة القريبة من المنتزه العام الذي تجمع فيه الأصدقاء ليدرسوا خطة فيلمهم الدموي القادم..

كانت الحماسة قد جرفتهم كسيل منهمر لم يجد ما يردعه وبدأ كل منهم يلقي أفكاره القذرة في عقول أصدقائه الخربة..

وكان أكثرهم انتشاء بهذا الموضوع (كاثرين) أو كاتي كما تحب أن يدعوها أصدقاؤها فقد ذاقت الأمرين على يد ((سالي)) طوال العامين السابقين وتنتظر لحظة الانتقام التي جاءتها على طبق من ذهب بفارغ الصبر..

لقد أعدت بداخل عقلها الصغير المريض للفيلم القادم سيناريوهات دموية يخجل بجانبها كتاب روايات الرعب مما كتبوا..

كانوا قد أعدوا خطتهم لاستدراج ((سالي)) في عطلة نهاية الأسبوع على أن يستخدموا القبو في منزل ((رالف)) حيث سيذهب والداه خارج البلدة لعدة أيام في عمل في مجال العقارات..

كان الأمر يبدو وكأن السماء قد غضبت على ((سالي)) ولعنتها فكل الخطوات كانت تتم في سلاسة عجيبة حتى ((ستيفن)) الذي كان يبحث عن فأر يستخدمه في المشهد الذي سيشرف عليه في الفيلم القادم وجد في مصيدة الفئران الموجودة بالمرآب فأرين احدهما حي والآخر قد نفق منذ وقت ليس بالقصير..

وكانت الخطة النهائية بسيطة جدا سيقوم ((روني)) باختطاف (روجر) كلب ((سالي)) الصغير وستأتي هي للبحث عنه في حديقة منزل

((روني)) كالعادة وسيخبرها (روني) أنه شاهد كلبا مماثلا عند (رالف) في بيته الذي يبعد مربعا سكنيا واحدا عن بيت ((روني)) ويصطحبها إلى منزل (رالف) الذي يبدي سروره بقدومها ويقدم لها شيئا تشربه وكما نعرف فهي تعشق (الكولا) بشدة ونضع به المنوم سريع المفعول الذي يستخدمه جد ((كاتي)) كعلاج لمرض الأرق و تبدأ الحفلة..

وفي اليوم المحدد ..

جرت الخطة كما رسموا لها ولكن الاختلاف الوحيد الذي كاد يفسد الخطة كلها هو إقلاع (سالي) عن احتساء (الكولا) لأنها تسير على برنامج غذائي صحي الآن للمحافظة على رشاقتها وكادت تنصرف مدمرة الخطة ومنهية مشروع الفيلم الواقعي القادم..

واندفع الأصدقاء الأربعة المتوارون خلف أثاث المنزل وتكاثروا عليها وكبلوها من يديها وقدميها وأجبروها على شرب (الكولا) الذي يحتوي على المنوم سريع المفعول ..

وما أن فقدت وعيها حتى تركها الأصدقاء تسقط على الأرض وساد الصمت قليلا إلا من صوت الأنفاس التي أخذت تتردد في صدورهم وأخذوا ينظرون إلى بعضهم وانطلقوا يضحكون بهستيريا لقد نجح الجزء الأول من خطتهم وسيبدؤون في تصوير الفيلم عما قريب..

وأخذت (جولي) الكاميرا ثم أخذت تصورها وهي نائمة وأخذوا يلتقطون صورا لها معهم في أوضاع ساخرة مرتجلة..

كانت النظرات في أعينهم نظرات قذرة تشبه نظرات هؤلاء الخنازير الذين كانوا يعذبون المساجين في معتقل جوانتنامو ..

ما إن انتهوا من لهوهم والتقاط الصور حتى حملوها معا وقد كانت ((سالي)) رغم قسوتها وغرورها فتاة جميلة شقراء ذات أعين زرقاء كانت تشبه وهي نائمة دمية باربي الصغيرة التي يعشقها كل أطفال العالم..

حملوها وهبطوا بها إلى القبو ذي الرائحة العطنة الذي تتراص بداخله العديد من صناديق الخمور المعدة للاستعمال والذي يحتوي أشياء لا صلة لها ببعضها كان يشبه مستودعا للخردة والأشياء المستعملة ولقد أفادتهم العديد من الأشياء التي وجدوها في القبو ليصنعوا ديكورات وخلفيات رائعة لفيلمهم القادم..

و لم يضيعوا وقتهم فقاموا بتمرير أحد الحبال من حلقة معدنية موجودة بالسقف ويبدو أنها كانت تستخدم قديما لتعليق ميزان ما لقياس ووزن أشياء ما ثم قيدوها بقيود معدنية خاصة بوالد (روني) الذي يعمل شرطيا وربطوا طرف الحبل بمنتصف القيد المعدني ثم سحبوا الحبل معا ورفعوها حتى أصبحت واقفة في منتصف الغرفة وهي نائمة وتكاد تسقط ساحبة

الحبل معها إلا أن (ستيفن) الذي يمسك بطرف الحبل قام بربطه في قائم معدني مثبت في الحائط وعقد الحبل عقدة متينة من التي تعلمها في دروس الكشافة بالمعسكر الصيفي..

وأخيرا وقفوا جميعا يتأملونها وهي متدلية من الحبل والقيود قد أدمت معصميها وقد بدت لا حول لها ولا قوة..

وقفوا جميعا وقد ظهر الأسى عليهم وهم يتصورون هول اللحظات القادمة فهم قاب قوسين أو أدنى من خوض أعظم إثارة قابلتهم في حياتهم الرتيبة ولكن الثمن بغيض بغيض لأقصى حد ..

كانت كاثرين أو (كاتي) تشعر بإثارة رهيبة وقد شعرت بالذعر الذي أصاب أصدقاءها حينما شعروا بمقدار الجرم الذي اقترفوه والكارثة الرهيبة التي هم مقبلون عليها ولكن شيطانها ألهمها الفكرة و جعلها تصرخ وتقفز مظهرة كل مشاعر الإثارة والفرحة والحماس..

وكأنهم كانوا جميعا في انتظار هذا الانفعال فاندمجوا جميعا في موجة الفرح الكاذبة وبدأت (كاتي) في الحديث والشيطان يتلاعب على مقلتها ويقود لسانها وقالت: هيا لنجهز استوديو التصوير وكما تعلمون جميعا أني من ستكون خلف الكاميرا في البداية ثم سيأتي دور كل منا تباعا حتى يتمكن كل منا من أداء المشهد الخاص به..

مضت عدة ساعات وهم منهمكون في إعداد القبو وقام (رالف) بإحضار مدفئتين تعملان بالكهرباء وعمل على تشغيلهما لإعدادهم للمشهد القادم وأخذت درجة الحرارة ترتفع وأصبح الجو خانقا..

وفي هذه الأثناء أفاقت ((سالي)) بعد أن انتهى مفعول الدواء المخدر ووجدت نفسها بذلك الوضع المرعب الرهيب..

فأخذت تصرخ وتبكي وتلعن الأصدقاء الخمسة الذين أخذوا ينظرون لها بنظرات مشتعلة فرؤيتها في مثل هذه الحالة من التمرد والثورة أعادت إليهم مشاعر البغض القديمة وأشعلت من جديد حقدهم عليها..

كانت قد فقدت ملامحها البريئة التي اكتسبتها بفقدانها الوعي وعادت ((سالي)) الفتاة البغيضة..

وكان القبو المقفل قد أصبح مثل الجحيم المشتعل أصبح خانقا حارا يزهق الأنفاس .

كانت تنتحب بشدة وتصرخ وتلعن وتتوسل والأصدقاء الخمسة يدورون حولها ويرقصون ويسخرون منها في شماتة واضحة وحينما انتهت من الصراخ والثورة وأصبح صوت بكائها أنينا خافتا وشهقات متباعدة..

قامت (كاتي) بعمل زووم على وجه (سالي) كأول لقطة في الفيلم توضح الرعب والهلع ثم صاحبها صوت (ستيفن) وهو يحاول أن يتحدث بغموض

كطريقة القتلة والسفاحين في الأفلام..

كان يحمل في يده مصيدة الفئران التي تحتوي على الفأرين النافق والحي وكان يتحدث وهو يقترب من (سالي) التي أخذت تلهث من شدة الحرارة التي تسببها الدفايات الكهربائية المشتعلة لأقصى حد..

كان يتحدث بالصوت الغامض العابث الساخر وهو يدور حول (سالي) حاملا المصيدة بيده قائلا:

تعرفين يا (سالي) مقدار حبنا جميعا لكي وتعرفين أننا أكثر من يحبك من أهل الأرض لذا أعددنا لك مفاجأة جميلة ستبهجك لقد قررنا أن تكوني بطلة فيلمنا القادم ..

والآن يا (روني) لنبدأ تصوير المشهد الأول ..

أمسك (روني) تلك الأداة الخاصة بترقيم مشاهد الفيلم ووضعها أمام الكاميرا التي تحملها ((كاتي)) ثم قال بصوت عابث مرتفع:

كلاكيت أول مرة فيلم اقتلوا (سالي) المشهد الأول العطش ..

كانت (سالي) تنظر إلى الفئران في المصيدة التي يحملها (ستيفن) وقد أصابها الرعب بصدمة ففقدت القدرة على الصراخ والكلام..

كانت عيناها مسمرتين على الفئران وخاصة الفأر الحي ..

فهي تخشى الفئران كخشيتها من الموت وأكثر ..

اقترب (ستيفن) منها ورفع المصيدة أمام عينيها وعيناها تتابع المصيدة برعب هائل وتكاد تفقد الوعي من الرعب وشدة الحر ..

أبعد (ستيفن) مصيدة الفئران من أمام وجهها ثم ذهب إلى منضدة صغيرة في ركن القبو الأيمن موضوع فوقها العديد من الصناديق الصغيرة المغلقة ثم أخرج من إحداها زجاجة مياه غازية (كولا) واقترب منها وهو يمسك في إحدى يديه (الكولا) وفي الأخرى كوب متسخ فارغ وأفرغ زجاجة (الكولا) في الكوب وقربه من فم (سالي) التي تجاهلت منظر الكوب المقزز وحاولت أن تمد شفتيها للأمام كي تر تشف منها ولو رشفات صغيرة تروي ظمأها

إلا أن (ستيفن) أبعد الكوب عن فمها وهو يضحك ضحكة ماجنة عالية

فصرخت فيه في ثورة: أيها الحقير ..أيها الحقير ..

ثم استدارت بعينها إليهم جميعا وهي تقول في غضب أعماها عن ألا تلاحظ موقف ضعفها: سأقتلكم جميعا أيها الحقراء سأجعل أبي يقتلع عيونكم ويشويكم أحياء ثم انخفض صوتها واختنق في حلقها وهي تقول:

لماذا تفعلون بي هذا؟ لماذا؟

تعالت صوت ضحكاتهم وسخرياتهم وهو ينعتونها بألفاظ مشينة وفي نفس الوقت كانت (كاتي) تدور بالكاميرا عليهم مسجلة كل تعليقاتهم البذيئة

كان العطش قد بلغ بـ (سالي) مبلغه وهي تشاهد الأصدقاء الخمسة

يصورونها ويحتسون المشروبات الباردة في محاولة للسيطرة على الحر الخانق واستدارت بعينها إلى (ستيفن) الذي اقترب منها حينما لاحظ أنها تنظر نحو الكوب المتسخ بلهفة فقال لها بصوت ساخر:

هل أنت عطشانة أتريدين أن تشربي مشروب (الكولا) البارد؟

رفعت عينيها إليه في إعياء ثم قالت بصوت متضرع: نعم (ستيفن) أرجوك أرجوك..

تعالى في الخلف صوت الأصدقاء وهم يضحكون عليها بصوت عال ..

في حين نظر إليها (ستيفن) وهو يسألها بصوت عابث:

وما المقابل؟

ردت عليه بسرعة وهي تقول: أي شيء.. أي شيء ..

فردد خلفها كلمتها وكأنه يفكر ويقول: أي شيء.. أي شيء ..!!

ثم أخذ يدور حولها وهو يردد نفس الكلمة عدة مرات وبعد ذلك اتجه إلى السلة وأخرج منها جثة الفأر المنتفخة وأمسك الجثة من ذيلها ثم قربها من وجه (سالي) وهي تنظر إليه برعب هائل وقد اصفر وجهها واختفى منه الدم فصارت كالجثة الشاحبة..

قرب (ستيفن) جثة الفأر من وجهها وقال لها بصوت رجل العصابات

الحاذق:

رشفة من الحساء أمام لعقة من لسانك لجثة هذا الفأر الجميل..

كادت تموت من رائحة الجثة المتعفنة الماثلة أمامها وصعقتها كلمات (ستيفن) الرهيبة وقالت له:

اذهب إلى الجحيم أن أموت عطشا خير لي ألف مرة من أن أفعل ما تقول

أبعد (ستيفن) جثة الفأر المتعفنة من أمام وجهها وقال لها:

على راحتك يا أميرتي سأتركك ساعة أخرى لتفكري ثم سأعود من جديد لعلي أراك أكثر مرونة. ثم استدار إلى (كاتي) التي تصوب الكاميرا ناحيته وقال: اقطع.

أوقفت (كاتي) الكاميرا على الفور ثم قفزوا جميعا ناحية (ستيفن) وهم يهنئوه على الأداء الرائع ثم قال (روني): لنصعد جميعا إلى أعلى هذه الساعة ثم نعود لنكمل.

ووافق الجميع على الفور وصعدوا إلى أعلى تاركين خلفهم (سالي) تلهث من العطش وتعاني من رائحة جثة الفأر المتعفنة التي جعلتها الحرارة تزداد وتزداد حتى فقدت الوعي..

أخذ الأصدقاء الخمسة يتضاحكون ويتمازحون ويلقون النكات على (سالي)

المقيدة في القبو وسط الجحيم.

كانوا في نشوة غير عادية وكأن الانتقام أسكرهم كانوا لا يفكرون في شيء إلا المشهد الثاني ولكن في القبو كان الأمر مختلفا فبعد مرور عشرين دقيقة استيقظت (سالي) وهي تحسب نفسها في كابوس لعين.

إلا أن الرائحة صدمت حواسها والحر الخانق أصبح لا يطاق وعادت ذاكرتها دفعة واحدة وسقطت عينها على الفار الموجود بالمصيدة والذي يتلوى أيضا من الحر الرهيب ويدور حول نفسه محاولا التملص من جدران المصيدة السلكية التي أثبتت متانتها..

كانت تتحدث إلى نفسها وتحاول أن تقنع عقلها الرافض إنها في كابوس لعين وسرعان ما ستستيقظ منه لترى غرفتها الرائعة وكلبها الوفي (روجر) ولكن عقلها عاندها وأجبرها على أن تخرج من عالم الأوهام إلى عالم الواقع الرهيب وتعالى الرعب والغضب بداخلها وحاولت أن تجذب الحبل إلى أسفل لعله يتمزق فتستطيع الهرب من هذا القبو الملعون الذي أصبح كجهنم ولكن محاولاتها أدمت معصميها من جديد وأحيت آلام الجراح السابقة فتوقفت عن المحاولة يائسة..

كان الضعف قد تملكها والعطش يكاد يفقدها عقلها وصوابها حتى إنها حدثت نفسها في هستريا بأنها على استعداد لأكل الفأر لا لعقه فقط من

أجل رشفة من الماء أو (الكولا) مستعدة أن تفعل أي شيء..

وقاطع أفكارها السوداء حضور أصدقائها الذين جحظت عيونهم من النشوة وتوردت وجناتهم من الحرارة واقترب منها (ستيفن) وحمل (روني) هذه المرة الكاميرا وأمسكت جولي أداة ترقيم المشاهد وقالت بصوتها الرفيع المنفر:

كلاكيت أول مرة فيلم اقتلوا (سالي) المشهد الثاني العطش ..

نظر (ستيفن) نحو (سالي) نظرة متسائلة وهو ينقل عينيه بينها وبين جثة الفأر المنتفخة التي أصبحت تصدر رائحة لا تطاق بسبب الحرارة المرتفعة وقال: ما زال العرض قائما يا (سالي) لعقة مقابل رشفة..

نظرت له (سالي) نظرة تمزق نياط القلوب وقالت في وجل وبصوت مهتز: أرجوك يا (ستيفن) لا تفعل بي ذلك أكاد أموت عطشا..

وانهمرت الدموع من عينيها مدرارا..

كانت كلماتها تزكي جمرة الحماسة في قلوب الأصدقاء فأخذوا يتصايحون مقلدين صوتها الواهن بسخرية مقيتة..

أرجوك يا (ستيفن) لا تفعل بي ذلك أكاد أموت عطشا..

كان اليأس قد بلغ مبلغة من (سالي) والعطش قد أصابها بما يشبه الخبال

فقالت بصوت ضاحك هستيري: أعطني الفأر ..أعطني الفأر لألعقه..

ساد الصمت للحظات والكل في حالة ترقب و(ستيفن) يقرب جثة الرهيبة من فم (سالي) الذي أفقدتها الضغوط التي تتعرض لها صوابها فأخذت تلعق جثة الفأر بطريقة جنونية أصابت الأصدقاء بالذهول فأخذوا جميعا يتقيئون ليزيدوا المشهد اشمئزازا ..

كانت (سالي) لا تعي ما تفعل وقد ذهب عقلها فأخذت ضحكاتها تتعالى وهي تقول أعطني (الكولا) أعطني (الكولا) ..

كان ما حدث رهيبا وهز أعصاب الجميع فحمل (ستيفن) الكوب المتسخ الذي يحوي (الكولا) وأعطاه إلى (سالي) التي أخذت ترشفه في جنون وقطرات (الكولا) تتطاير من الكوب التي ما إن انتهت منه حتى قالت بصوت مجنون آمر (ستيفن) أعطني المزيد أعطني المزيد..

سآكل جثة الفار مقابل زجاجة ماء مبردة..

كان الوضع قد بلغ حالة رهيبة من الجنون وقد أثر المشهد على نفسية هؤلاء المراهقين كان الخوف قد بدأ يتسلل إلى قلوبهم والتردد بدأ يغزو أعصابهم ..

ولكن (كاتي) امتلكت زمام المبادرة مرة ثانية وقالت: لم لا كلي الفأر وسأعطيك زجاجتي ماء..

إلا أن (رالف) قال لها: لا يا (كاتي) لا إن هذا مقرف بشدة.

إلا أن (كاتي) تغلبت على اشمئزازها وحملت جثة الفأر وقربتها من فم (سالي) التي تلفت أعصابها من الخوف والحر المميت..

وأنشبت أسنانها في جثة الفأر وأخذت تلوك قطعة منه وفقدت جولي وعيها وهم (ستيفن)أن يذهب ليطمئن عليها..

حينما دوى الصوت المذهول يا إلهي ماذا تفعلون أيها اللاعبين أيها الخنازير القذرة ..

كانت صوت والدة (سالي) التي أقلقها غياب ابنتها فاتصلت بكل أصدقائها وبحثت عنها كثيرا وأخيرا أخبرتها (صوفيا) جارتهم الصغيرة أنها رأتها تدخل بيت (رالف) بعد أن دخل إليه الأصدقاء الخمسة ولأنها تعرف مدي الكراهية المستعرة في قلوب الأصدقاء لـ (سالي) فإنها شعرت بقلب الأم أن هناك ما يسوء فتسللت من باب المطبخ الخلفي الذي كان لحسن الحظ مفتوحا بعد أن أعياها الدخول من الباب الأمامي المغلق وجذبها صوت الأصدقاء الذين كانوا يصنعون جلبة عالية ورأت الهول الذي يحدث لإبنتها..

لم تتحمل الأم ما رأت فاندفعت نحو ابنتها تفك قيدها ثم انهالت عليهم جميعا ضربا مبرحا أصابهم بإصابات مختلفة فاندفعوا من القبو هاربين

وهي تحمل ابنتها بين يديها ودموعها تغرق خديها ولعناتها تتساقط على الصبية الهاربين وطلبت الإسعاف..

° ° °

وفي المحكمة قال القاضي إن الأصدقاء الخمسة قاصرون وان ما حدث كان تأثيرا سلبيا لأفلام الرعب وأمر بعرضهم على الطبيب النفسي وأغلق القضية..

° ° °

ولكن (سالي) لم تنس ولم تغفر ولم تصفح ولم تغلق القضية حتى بعد مرور عشرة أعوام وتسلمها ميراث أبيها الذي فقد حياته في حادث سيارة بعد إغلاق القضية بأسبوعين..

كانت قد اشترت مزرعة كبيرة وأحضرت حدادا ماهرا صنع لها عدة أقفاص ضخمة متصلة ببعضها فيما يشبه المتاهة وأحضرت فيها العديد من الفئران التي اشترتهم من شخص يستطيع توفير أي شيء لن يدفع الثمن وعملت على تغذيتها ومتابعة نموها حتى صار لديها قطيع هائل من الفئران أعدته لتحقيق انتقامها واستعانت بنفس الشخص الذي استدرج الأصدقاء الخمسة وخدرهم وجلبهم إلى المزرعة ووضع كل منهم في قفص ثم تسلم أمواله وانصرف دون أن يعرف من كلفه بهذه المهام ولكنه لم يكن يهتم

فقد تسلم ما يخصه المال..

وجلست (سالي) تسترجع ذكريات القضية وتفاصيلها وهي مرتدية على وجهها قناعا من أقنعة الهالويين على هيئة فأر فقد وجدت الشرطة في القبو أشياء رهيبة فقد جهز الأصدقاء الخمسة سيناريو رهيب سيتم تطبيقه على (سالي) تباعا سيبدأ بلعق الفئران ثم سيمر بصعق الكهرباء وحرق شعرها بالنار وبتر إصبعين من أصابعها ثم دفنها في الصندوق الكبير الذي يوجد في القبو مع الفأر الحي ..

كانت الذكريات تزيدها غضبا فقد دمر هؤلاء الملاعين طفولتها وهاهم بين يديها وقد استفاقوا من المخدر وأخذوا يتساءلون عن مكانهم ولكن (سالي) قاطعتهم وهي تقول بصوت غامض كاره غاضب:

أنتم تعرفون أنكم كنتم أطفال أشقياء وقد أخطأتم في حق ماما (سالي) ولم تقم ماما (سالي) بعقابكم حتى الآن وقد حان وقت العقاب والعقاب دائما من جنس العمل ألا توافقونني على ذلك..

ثم أدارت يدها إلى كاميرا حديثة موضوعة على حامل وضغطت على زر التشغيل وقالت وهي تنظر لهم من خلف قناع الهالوين المقزز..

كلاكيت أول مرة فيلم ستقتلكم (سالي) المشهد الأول العطش

وتعالت صرخات الأصدقاء..

- الفهرس -

فتاة المترو ١١
الموت السعيد ٢٠
اللعنة ٢٩
حديث الموتى ٤٤
قلوب من حجر ٥٤
أشياء لا تشترى ٦٦
جزيرة المنبوذين ٧٣
فتاة ليل ٨٦
فينوس ٩٥
حينما يأتي الموت ١١٦
مباريات الموت ١٣٤

الجانب الآخر
1



عمرو المنوفي



كانت اللفافة تحتوي علي جثة متحللة حديثة ..

كان منظرها شنيييييييع حتى أني لم استطع النظر إليها مرة ثانية..

وكانت الديدان قد صنعت بداخلها ممرات وثقوب تنتقل عبرها لتناول الطعام..

كان المنظر مقززًا أكثر منه مرعبا..

ولكن الأكثر رعبا هو ما حدث بعد ذلك.





الكتاب القادم: يحدث بعد الغروب